٥.٤

حوار كوني

٤= أعداد في السنة في ١٦ لغة

ترجمة: منير السعيداني
تصميم: ربيع محمصاني

سلطة إحداث الاضطراب

فرانسيس فوكس بيفن

نداء الدولة الإسلامية

فرنسوا برغا

علم الاجتماع والأنثروبولوجيا

يان بيرمان

علم الاجتماع العمومي في النمسا

رودولف ريشتر

كوبا المتحولة

› الولايات المتحدة وكوبا
› عن العنصرية والثورة
› عملة التنظيف الكوبيون في زمن متحول

علم الاجتماع في تايوان

› حركة عباد الشمس
› الحركة العمالية والحركة البيئية
› وضع الوالدين الضاغط
› صناعة الانهيار في تايوان
› تطور علم الاجتماع التايواني
› علم اجتماع الشارع

تذكار

› يوغن هاتمان ١٩٤٤-٢٠١٥

النشرة الأخبارية

العدد ٤ من السلسلة ٥ – كانون الأول ٢٠١٥

www.isa-sociology.org/global-dialogue/

GD

الافتتاحية

تداخل الاختصاصات والتخصصات العلمية

نفتتح هذا العدد بحوارين. الأول مع فرانسيس فوكس بيفن (Frances Fox Piven) وهي واحدة من أبرز اكاديميي تاريخ علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية. إن انقطاعها إلى البحث في قضايا من قبيل حقوق الرعاية الاجتماعية وتسجيل الناخبين ومؤخرا حركة احتلوا (Occupy Movement) بيّن فرادة تحليلها للحركات الاجتماعية مسترعية الانتباه إلى قوة التمرد. على امتداد مسيرتها المهنية الطويلة خاضت من دون خوف في مجادلات مع وجوه من حجم ميلتون فريدمان (Milton Friedman) وأظهرت شدة في معارضة الوجوه اليمينية. الاستجواب الثاني مع فرانسوا بورغا (François Burgat) الخبير الفرنسي في العالم العربي الذي يفسر لنا النداء الذي وجهته الدولة الإسلامية إلى المسلمين الأوروبيين ضحايا الإقصاء العنصري في بلدانهم. بعد ذلك يأتي مقال يان بيرمان (Jan Breman) عالم الاجتماع الهولندي الشهير المهتم بالاقتصاد غير الرسمي والذي يفصل ها هنا العلاقة المعقدة بين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. كل العلماء الثلاثة لهم موطئ قدم في علم الاجتماع ولكنهم في تعاملهم مع القضايا العمومية يظهرون أن حدود اختصاصهم ليس هاما وذلك بالإطلال على العلوم السياسية والأنثروبولوجيا والتاريخ سواء بسواء مع علم الاجتماع.

يصح الأمر كذلك على من ساهموا معنا بالقسم الخاص بكوبا. يعود كل من لويس رامبوت (Luis Rumbaut) وروبن رامبوت (Rubén Rumbaut) إلى الاتفاق التاريخي بين كوبا والولايات المتحدة ليلفتوا الانتباه إلى تراكم الضغوط الجيوسياسية والاقتصادية التي أدت إلى التقارب بينهما، فيما تقدر لويسا ستور (Luisa Steur) دلالة ذلك الاتفاق من زاوية نظر العاملين في قطاع التنظيف ذوي الأجور الزهيدة. بفضل اطلاعها الواسع على الانتقال نحو اقتصاد السوق ترى الكيفية التي بها يعمق تحول مماثل في كوبا مظاهر اللاتساوي التي كانت قبل تحت السيطرة. في المقال الموالي تستجوب لويسا ستور ناشطا أفريكوبي هو نوربارتو كاربونال (Norberto Carbonell) المخلص للحزب ولكنه يتحدث بشكل مفتوح عن العنصرية في كوبا. ولربما ما كان نشر مثل هذا المقال ممكنا حتى إلى عام مضى.

ولكن تداخل الاختصاصات يتطلب التخصص وقد تطوّر علم الاجتماع في أطر قومية وإن كان واقعا تحت أثر حقول كونية وهي النقطة التي أكدت عليها المقالات الست التي صدرت من تايوان. لقد أنجبت هذه الجزيرة الصغيرة المعلقة بين الصين والولايات المتحدة بتاريخ حركاتها الاجتماعية المتوترة واحدا من علوم الاجتماع الأكثر حيوية في آسيا. لقد حفزت هذه الأمة الحساسة تجاه القضايا الجيوسياسية وتجاه تاريخ القمع الممتد فيها مقاربات جديدة في علم الاجتماع الكوني. بل إن العديد من المساهمين التايوانيين المشاركين معنا في هذا العدد شاركوا في الحركة الديمقراطية لأواخر السنوات ١٩٩٠ فطوّروا آفاقا متميزة حول الحركات الاجتماعية. ومثلما تظهر ذلك المقالات، دفعت «حركة عباد الشمس الأخيرة» بعلم الاجتماع وبنظراته النقدية إلى حيث يكون في محط الأضواء الوطنية ميسّرة التزام الجمهور خلف الاكاديميين.

علم الاجتماع العمومي هو موضوع مراجعة رودولف ريشتر (Rudolf Richter) لتاريخ علم الاجتماع في النمسا. مقاله هو الأول من سلسلة ستمكن من تقديم أعضاء الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ج د ع اج) المشاركين في المنتدى الثالث لعلم الاجتماع الذي سينتظم في فيينا من العاشر إلى الرابع عشر من شهر تموز (يوليو) ٢٠١٦. تعد اللجنة التنظيمية المحلية بنشاط حدثا احتفاليا نمساويا مستخدمة مدونتها الخاص ورابطها هو:
http://isaforum2016.univie.ac.at/blog/

يمكن الاطلاع على حوار كوني في ١٦ عشر لغة على موقع ج د ع اج ISA website.
ترسل كل المساهمات مباشرة إلى العنوان: burawoy@berkeley.edu

فرانسيس فوكس بيفن،باحثة اجتماعية،لها في المجال المهني سيرة طويلة ومميزة، تقدم هنا نظريتها حول الحركات الاجتماعية في مقابلة مع لوريان مينيه.

فرانسيس بورغا،باحث متخصص في شؤون الشرق الاوسط يفسر الاجتذاب الى الدولة الاسلامية في مقابلة أجراها ساري حنفي

جان بريمان،عالم اجتماع هولندي شهيريتحدث عن العلاقة الغريبة بين علم الاجتماع والانثروبولوجيا.

رودولف ريشتر،رئيس اللجنة المحلية لمنتدى علم الاجتماع الدولي للعام 2006،يتكلم عن ميراث علم الاجتماع العمومي في النمسا.

GD

تصدر حوار كوني بفضل الدعم السخي لمنشورات سايج (SAGE Publications)

> فريق التحرير

المحرر: مايكل بورواي.
محرر مشارك: غاي سايدمان.

محررون متصرفون: لولا بوسوتيل، أوغست باغا.

محررون مستشارون: مارغرت أبراهام، ماركوس شولز، ساري حنفي، فينيتا سينها، بنيامين تيجيرينا، روزماري بابرت، إيزابيلا بارلينسكا، ديلاك سيندوغولو، فيلومين غوتييرز، جون هلموود، غيارمينا جاشو، كالينا كانيران، مارينا كوركيشيان، سيمون مابادمينغ، عبد المؤمن سعد، عائشة ساكتنبار، سيلي سكالون، ساواكو شيراهاسي، غرازينا سكابسكا، إيفانجيلا تاستسوغولو، شين شون يي، إيلينا زدرافوميسلوفا.

محررون أقليميون:

العالم العربي: ساري حنفي، منير السعيداني، محمد الإدريسي.

البرازيل: غوستافو تانيغيتي، أندريزا غالي، أنجيلو مارتينس جدونيور، لوكاس آمارال، رافائيل دو سوزا، بوينو آلفيس، خوليو دافيس.

كولومبيا: ماريا خوسي آلفاريس ريفادوللا، سيباستيان فيلاميزار سانتاماريا، أندريس كاسترو آروخو.

الهند: إيشوار مودي، راشمي جين، براغيا شارما، جيوتي سيدانا، نيدهي بانسال، بانكي باتناغار.

أندونيسا: كامنتو يونارتو، هاري نوغروهو، لوسيا راتيه كوسومادیوي، فينا إترياتي، إنديرا راتنا إيراواتي باتيناساراني، بينيديكتوس هاري جوليفان، محمد شهاب الدين، دومينغوس إيلسيد لي، أنطونيوس أريو سيتو هارديجانا.

إيران: ريحانة جافادي، عبد الكريم بستاني، نياييش دولاتي، محسن رجبي، وحيد لانجنزاد.

اليابان: ساتومي ياماموتو، فوما سيكيغوشي، شينشا كاميو، كاناكو ماتاكي، كاهو مياهارا، يوكي ناكانو، يوترو شيموكاوا، ساكيي يوشيكو.

كازخستان: آيغول زابيروفا، بيان سماغنبيت، دورنبيك كوليمينوف، عادل رودينوف، غاني مادي، آلماش تليسبابيفا.

بولونيا: آدم موللر، آنا وانزيل، جاكوب بارزيويسكي، جوستينا كوشينسكا، جوستينا زيلينسكا، كاميل ليبينسكي، كارولينا ميخايلويسكا، كريستوف غوبانسكي، ماريوس فيكيلزتيان، مارتينا ماشيوش، ميخولاي ميرجويسكي، باتريسيا بينداراكويسكا، فيرونيكا غاويرسكا، صوفيا بينزا.

رومانيا: كوزيما روغينيش، كورينا براغورا، أندريا آكاساندري، رومانا كانتاراجيو، ألكسندرو دوتو، ركساندرا يورداش ميهاي بوغدان ماريان، أنجليكا مارينسكو، آانكا ميهاي، مونيكا نادراغ، بالاز تليغدي، إيليزابيتا توما، إيلينا تودور.

روسيا: إيلينا زدرافوميسلوفا، آنا كادنيكوفا، آسيا فورونكوفا.

تايوان: جينغ ماو هو.

تركيا: غول تسوبارسيو غولو، إيرماك إيفرين.

مستشار إعلامي: غوستافو تانيغوتي.
مستشار التحرير: آنا فيلاريال.

> في هذا العدد:

الافتتاحية: مزيدا من العمومية مزيدا من المقارنة ٢

سلطة إحداث الاضطراب: حوار مع فرانسيس فوكس بيفن
بقلم لوران سي. مينيت، الولايات المتحدة ٤

نداء الدولة الإسلامية
مقابلة مع فرنسوا برغا قام بها ساري حنفي، لبنان ٧

التاريخ الغريب لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا
بقلم يان بيرمان، هولاندا ١٠

ميراث علم الاجتماع العمومي في النمسا
بقلم رودولف ريشتر ١٣

>كوبا المتحولة

الولايات المتحدة وكوبا: التركيب العسير
بقلم لويس إ. رامبوت وروبن ج. رامبوت، الولايات المتحدة ١٥

عن العنصرية والثورة: حوار مع نورباتو ميسا كوربونال
بقلم لويسا ستور، الدانمارك ١٨

أخبار صادمة من هافانا: عملة التنظيف الكوبيون في زمن متحول
بقلم لويسا ستور، الدانمارك ٢١

>علم الاجتماع في تايوان

حركة عباد الشمس وورطة علم الاجتماع التايواني
بقلم مينغ شو هو، تايوان ٢٣

ما الأوْلى؟ الحركة العمالية أم الحركة البيئية؟
بقلم هوا جين ليو، تايوان ٢٥

وضع الوالدين الضاغط
بقلم بيي شيا لان، تايوان ٢٨

صناعة الانهيار: تايوان في القرن الواحد والعشرين
بقلم ثانغ هونغ لين، تايوان ٣٠

العمومية والخصوصية في تطور علم الاجتماع التايواني
بقلم ماو كوي شانغ، تايوان ٣٢

علم اجتماع الشارع
بقلم هونغ زان وانغ، تايوان ٣٤

>تذكار

يوغن هاتمان ١٩٤٤-٢٠١٥: أممي مخلص
ليودميلا نورس المملكة المتحدة وسيلفيا ترونكا، المجر ٣٦

> سلطة إحداث الاضطراب:

حوار مع فرانسيس فوكس بيفن (Frances Fox Piven)

فرانسيس فوكس بيفن عالمة اجتماع ذات شهرة عالمية ومدرسة محبوبة كثيرا. هي ديمقراطية راديكالية وناشطة اكاديمية موحية هيمن دفاعها عن الفقراء على مسيرتها الساطعة والشجاعة. كتابها الأول تقنين حال الفقير: وظائف الرعاية الاجتماعية Regulating the Poor: The Functions of Social Welfare (1971), الذي كتبته بالاشتراك مع ريتشارد أ. كلووارد (Richard A. Cloward) ألهب نقاشا اكاديميا أعاد هندسة حقل سياسات الرعاية الاجتماعية. أعمالها التالية حللت الظروف التي ضمنها تكون الأفعال التي تدخل الاضطراب على حال الفقير مؤثرة في وضع أسس دولة الرعاية الاجتماعية الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية (حركات الفقراء Poor People's Movements, ١٩٧٧) وكانت ضرورية للدفع بالسياسات الاجتماعية التقدمية والإصلاحات السياسية (كسر التراض الاجتماعي الأمريكي ١٩٩٧ وتحدي السلطة 2006 The Breaking of the American Social Compact;; Challenging Authority,). كما جمعت بين البحث الاكاديمي والالتزام السياسي رائدة في حركات من قبيل حملة حقوق الرعاية ثم تسجيل الناخبين وكذا الدعم المفتوح لحركة "احتلوا" (Occupy Movement). لم تتردد أبدا في الدفاع عن أفكارها من خلال الوسائط الإعلامية مواجهة خصوما من حجم الاقتصادي الليبرالي ميلتون فريدمان (Milton Friedman) في مجادلة تليفزيونية شهيرة. تلقت العديد من أوسمة الشرف والجوائز بما في ذلك ترؤسها للجمعية العلمية الاجتماعية الأمريكية سنة ٢٠٠٧. في المحادثة التالية تبلور نظريتها في "السلطة متداخلة التبعية" التي تمثل قلب عملها. استجوبت لوران سي. مينيت (Lorraine C. Minnite) عالمة السياسة واكاديمية السياسات في جامعة روتجرز في الولايات المتحدة الأمريكية بيفن في ميللرتون، نيويورك، في الثلاثين (30) من أيار (ماي) ٢٠١٥.

لوران مينيت (ل.م.): أود أن أسألك عن سياسات إدخال الاضطراب، الموضوع المتواتر في عملك عائدة إلى أول مقالاتك المنشورة تحت عنوان « ذوو الدخول الضعيفة في السيرورة السياسية» وكذا «وزن الفقير» مقالك الشهير الذي نشر في The Nation والذي كتبته بالاشتراك مع ريشارد كلووارد سنة ١٩٦٦. كثيرا كما نسمع عن هذا الاضطراب في أيامنا هذه. مقاولو التقنيات فائقة التقدم يتلون علينا ابتهالات مبشرة «بإدخال الاضطراب» على صناعات اللهو والربح الأخرى، كما يعمد محللو الحركات الاجتماعية هم أيضا إلى استخدام متكاثر للفظ. وبما أن هذا كان مشغلا مركزيا لديك خلال كل هذا الزمن الممتد، هل لك أن تحدثينا عما تقصدينه بالاضطراب بوصفه مفهوما تستخدمينه في النظرية الاجتماعية؟

فرانسيس بيفن (ف.ب.): على الرغم من تزايد كثافة استعماله لا أعتقد أن اللفظ مستخدم بالعناية الكافية. في الصناعات التقنية، يعني اللفظ التجديد الذي يدخل الاضطراب على الأسواق ويعني به الاكاديميون المعتنون بالحركة الاجتماعية الفعل الجماعي المتسم بالجلبة وانعدام النظام والعنف ربما. لكن الجلبة والفوضى ليست كافية لتفسير السبب الذي يجعل الاضطراب جابرا لمن هم في الأعلى على التنازل عن بعض السلطة.

لقد أشرت إلى أعمالي المبكرة التي كتبت بينما كانت احتجاجات فقراء السود (في نيويورك وفي بويرتو ريكو) بصدد الاندلاع. بالفعل كانت الاحتجاجات عالية الجلبة

فرانسيس فوكس بيفن

<<

وفوضوية. تساءلت لماذا؟ في بواكير السنوات ١٩٦٠ كانت أعداد غفيرة من الناس قد هاجرت إلى المدن المركزية في الولايات المتحدة الأمريكية آتين من الجنوب الريفي ومن بويرتو ريكو. ما من شك أنهم كانوا يأملون في حياة أفضل ومن المؤكد أنهم كانوا فقراء إلى حد ميئوس منه. لقد صادفوا أسواق عمل حضرية لم تهب لهم أعمالا لائقة وأنكرت عليهم إدارات البلديات الخدمات. على ذلك اجتمع الناس إلى بعضهم البعض ونظموا المسيرات وصرخوا وألقوا بالفضلات في حدائق مباني البلديات. جوابا على ذلك قال العديد من اللبراليين البيض وحتى من مهنيي حقل الرعاية الاجتماعية : «نحن نوافقكم على أهدافكم ولكننا نعترض على طرائقكم. لكم حقا أن تحصلوا على عمل وأن يكون لكم مورد دخل وأن تحصلوا على خدمات الرعاية الصحية كما من حقكم أن يكون في منازلكم تدفئة ومياه ساخنة. ولكن إحداث الجلبة وتعمد الإزعاج ليسا الطريق التي بها تحل مشاكلكم. ما عليكم فعله هو التجمهر سويا والتصويت ورفع العرائض الموقعة عن طريق ممثليكم» ويعني ذلك أنه كان عليهم أن يتبعوا المعتاد المكرور من السياسات السوية والمعيارية الديمقراطية.

احترت حيال ذلك، وانتهيت إلى استنتاج أن الناس كانوا يفعلون ما يفعلون لأن النصيحة التي كانوا يتلقونها من حلفائهم اللبراليين لم تكن نصوحة. والواقع أن العديد منهم جربوا استخدام الإجراءات الاعتيادية في تقويم أوضاعهم وحاول العديد منهم أن يكون لهم شيئ من التأثير في مبنى بلدية المدينة. قدموا طلبات للحصول على الرعاية أو خدمات اجتماعية أخرى فلم تلاق طلباتهم إلا الإهمال.

وانتهيت إلى أن السبب الذي يجعل الناس يلجأون إلى تكتيكات إحداث الاضطراب هو أن تلك التكتيكات التي كان يمكن أن تكون فعالة بالنسبة إليهم أصبحت بلا جدوى. كانت تلك هي المناسبة الأولى التي عالجت فيها سؤال السبب الذي يجعل ذوي الدخول المتدنية يكونون من صانعي الاضطرابات أحيانا. والحقيقة بطبيعة الحال هي أن الفقراء هم على الغالب أناس هادئون لا غير، ولكنهم عندما ينفذون إلى المستوى السياسي فإن ذلك كثيرا ما يكون بطرق فوضوية.

على مر الزمن اللاحق طورت أنا ورتسارك كلوارد ما أعتقد أنه فهم أكثر تحليلية وأكثر غنى بالمعطيات للأفعال التي تسمى اضطرابا. بغية تقدير ما سأحاجج عليه عليك أن تستندي إلى السلوكات المخصوصة لمن هم تحت المعاينة المتفحصة فتسألي السؤال التالي: ما الدور الذي يضطلع به هؤلاء الفقراء في الهندسة العامة للعلاقات المبتدلة التبعية التي تكون المجتمع، في الشبكات المعقدة للعلاقات التعاونية التي تكون المجتمع. أو، وبتعبير آخر ما الدور الذي يضطلعون به ضمن تقسيم العمل.

ل. م: على هدي فكرة دروكايم؟

ف. ب: نعم ثمة ولا شك أثر دوركايمي. ما التبعات التي تجدّ عندما يرفض الناس أدوارهم ويعمدون إلى إدخال الاضطراب. قد لا يكون الاضطراب متولدا عن اليأس فحسب بحيث يكون في الحقيقة مصدرا للسلطة. إذاً برهاني هو التالي: كثيرا ما يقال إن الفقراء مقصيين وتلك حقيقة وكثيرا ما يتم إدراجهم بهدف إخضاعهم واستغلالهم. هم يضطلعون بأدوار مهمة بوصفهم أعوانا منزليين ومربي أطفال ومساعدين صحيين في البيوت ومستخدمي بيوت وبوابين وعمالا في مطاعم الأكلات السريعة ومستخدمين في تجارات التفضيل وأعوان تنظيف وجامعي قمامة. في العقود الأخيرة صارت هذه الأعمال أقل فأقل أمانا نتيجة انتشار العمل لوقت جزئي والعمل تحت الطلب والتعاقدي فيما كانت الأجور تتدنى.

ولكن أيكون هؤلاء العمال من دون سلطة فعلا؟ تذكري الأعوان المنزليين في المدن الكونية من قبيل نيويورك ولندن أو سان فرانسيسكو أو بوسطن. هم يعتنون بالأطفال وينزفون الشقق وقد يطبخون وجبات العشاء أفضل مما تفعل النساء المتعلمات اللائي يشتغلن الآن مستخدمات أو متصرفات. إذا ما توقفت المعينات المنزليات ومربيات الأطفال فإن تبعات ذلك ستنتشر في صفوف المحامين والمحاسبين والمتصرفين الذين يديرون اقتصادا أكثر فأكثر اعتمادا على النقد.

بتعبير آخر لمستخدمي المنازل نوع من السلطة بما أنهم إذا ما تغيبوا عن أعمالهم قد لا يتمكن مستخدموهم من الالتحاق بأعمالهم هم. رفض مستخدمي المنازل يكون بمثابة الرمل في دواليب اشتغال نسق التبادل. هذا هو نوع الاضطراب الذي أتحدث عنه وهو الإمساك عن التعاون ضمن نسق من التبعية المتبادلة. يكون ذلك في الحقيقة إضرابا، حيث تكون نتيجة الإمساك عن التعاون عطبا في النسق. قد لا يتوقف كليا ولكنه لن يكون قادرا على الاشتغال جيدا. إن القدرة على جعل أشياء تتوقف كانت على مر التاريخ مصدرا للسلطة بالنسبة إلى من هم في الأسفل، وتلك سلطة مبنية على التبعية المتبادلة ومدخلة للاضطراب.

ل.م: في كتابك «حركات الفقراء» Poor People's Movements تحاججين بمعية رتشارك كلووارد بأن دور التمرد الجماعي مركزي في تفسير كيفية تأسيس دولة الرعاية الاجتماعية، وفي كيفية ميلاد الإصلاح الاجتماعي. ما تقديرك لما هو حادث الآن على ضوء نظريتك في الاضطراب والسلطة المتوفرة لفقراء الناس بأن يحسنوا حياتهم؟

ف.ب: غالب الوقت، يعتقد الناس أن نظام التمثيل الانتخابي هو المجال الذي يمكن أن تتحقق فيه أحلامهم إذا ما قدر لها أن تتحقق. على أني لا أعتقد أن السياسات الانتخابية يمكن أن تعمل لفائدة من هم في الأسفل. وبت أعتقد أكثر فأكثر أنه لا يمكن أن يعمل لفائدة أغلب الناس في الولايات المتحدة باعتبار تنامي فساد السياسات الانتخابية وفي أوروبا بسبب أن المؤسسات ما فوق القومية هي التي تقود راهنا القرارات الوطنية. ولكن ذلك لا يعني أن النظام الانتخابي قابل للتجاهل. إن الموجات الارتدادية للحركات الاجتماعية على السياسات الانتخابية هي التي تحدد إلى مدى بعيد نجاح تلك السياسات أو إخفاقها.

والحقيقة أن الديمقراطية الانتخابية التمثيلية بناء مؤسسي رائع إذ هي تخلق مجالا للمساواة النسبية، مجالا لأقسام واسعة من الساكنة الحق ضمنه في التصويت خلال انتخابات دورية يكون فيها أصحاب القرار في الدولة وفي الحكومة في وضع هشاشة تجاه ناخبيهم. كما تضمن الديمقراطية التمثيلية الانتخابية بعض حقوق التنظيم بحيث يكون ثمة بعض القدرة لدى هؤلاء الناخبين المتضررين العديدين على بناء صوت جماعي.

لأشكال الديمقراطية الانتخابية التمثيلية الأساس هذه الكثير من التنويعات وهي موجودة. ولكن أساس ما يخلقه هذا الابتداع هو خلق مجال للحياة الاجتماعية يكون فيه لكل واحد تقريبا مورد إليه يرتهن من هم في الأعلى وهو مورد متساوي التوزيع بين الجميع إلى هذا الحد أو ذاك.

المشكلة جلية وأساسها أن مجال التساوي هذا غير منغلق تجاه باقي المجتمع الذي تبلغ فيه مظاهر المساواة أقصاها، وهي مظاهر لها حتما القدرة على إغراق ما يحدث في المجالات الانتخابية ولَيِّه. والأمر يزداد سوءا في الولايات المتحدة بقرار المحكمة العليا Citizens United الذي تجاوز عقودا من التشريع الأمريكي المقلص لمساهمات المجموعات المتدخلة في الحملات الانتخابية وبلايين الدولارات المنفقة خلال الحملات. بل إن هذا النظام الانتخابي التمثيلي وترجمته للأصوات في تمثيل تعرض إلى لي عنق خطير جزئيا بأَثَرٍ من الدستور الأمريكي ولكن من دون أن يبلغ أبدا ما بلغه اليوم حيث يحتل مكونو اللوبيات مقاعد في لجان المناقشات التشريعية ويشترون بانتظام ذمم السياسيين.

على أن نظرتي الآن مختلفة. لاحظي أن في قلب الفكرة النيرة للديمقراطية الانتخابية التمثيلية ثمة ذلك الاعتماد على تبعية متبادلة مبنية بين النخب

<<

السياسية وجموع الناخبين. على نمط متكرر، عندما تندلع حركات يوجد الكثير من الناس ذوي الاستعداد لإرشاد الناشطين إلى أن عليهم بدلا من العمد إلى الإزعاج أن يعملوا على إصلاح المترشحين في حين، وفي العديد من الحالات، لا تصادف جميع السياسات الانتخابية لدى ناشطي الحركات إلا الازدراء. ولا تقدر أية واحدة من الجهتين الطرق التي تدار بها السياسات الانتخابية وإن في أشكالها الملوية الأعناق، في عالم الواقع تتفاعل آثار إحداث الاضطراب ويمكن لها في بعض الأحيان أن تدفع بالحركات بحيث تكون مصدرا لإكسابها سلطة.

تحاول الأحزاب السياسية ومنظمات المترشحين أن تفوز في الانتخابات عن طريق بناء الأغلبيات. بغية تحقيق ذلك يكون عليهم أن يمحوا القضايا التي تقسم المجموعات أو تزعج الشركاء الماليين المحتملين. عندما تندلع الحركات يكون ما يثار هو تلك القضايا بالذات. ويسعى السياسيون الذين هم في حاجة إلى أصوات أنصار الحركات إلى تفادي المطالب الجديدة حيث يمل المرء منهم «أنا بالتأكيد مؤمن بالإدماج العرقي ولكن ذلك لن يكون إلا بالتدريج»، وكثيرا ما تعني بالتدريج بطبيعة الحال تأجيل المسألة إلى الأبد أو أنها لن تكون أبدا. إن الحقيقة هي أن محاولة السياسيين تهدئة المطالب هي علامة على أن صرخة الأمل أو اليأس التي تطلقها الحركة لها بعض الأثر في السياسات الانتخابية. وإذا ما اكتسبت الحركة قوة وفرق أنصار من هذا التشجيع مثلما اكتسبت حركة الحقوق المدنية القوة من كون أرضيات الحزب الديمقراطي شرعت في إصدار رجع صدى مطالب الحركة، تتصاعد فعليات الحركة الاجتماعية. فإذا ما تم لها ذلك تصبح الحركة أكثر تهديدا للمترشحين السياسيين الذين يكونون في حاجة إلى الحفاظ بطريقة أو بأخرى على تجمع كتل التصويت بغية تحقيق الفوز الانتخابي وكذا على المصالح المالية التي تمول الحملات سواء بسواء. وإذا ما نجحت الحركات فإن ذلك بسبب أن السياسيين يقدمون على تنازلات بهدف إخماد الانقسامات.

ل.م: كان تطوريك نظرياتك في الاضطراب أو في السلطة متبادلة التبعية أو في الظروف الانتخابية التي في ظلها يمكن للحركات أن تحقق الإصلاح على قاعدة التزام عميق بتسلسل تاريخ الولايات المتحدة وعلى قاعدة نشاطك الحركي أنت ذاتك وعلى الأخص عملك مع حركة حقوق الرعاية في مدينة نيويورك خلال السنوات ١٩٦٠. إلى أي مدى يمكن لهذه النظريات أن تفسر التطورات السياسية في بلدان أخرى؟

ف.ب: بعض ما قلته يصح على بلدان أخرى وإن كان نظام الثنائية الحزبية البحتة في الولايات المتحدة ذا هشاشة خاصة تجاه الحركات. لقد ساعدت الاحتجاجات في اليونان على كسر تحالف الباسوك (PASOK) ويسرت فوز سيريزا، تحالف اليسار المتجذر.

ل.م: كيف تفسر ديناميات الحركة- الانتخاب المعاصرة انتخاب باراك أوباما، وفي نفس الوقت حدود ما يعنيه بالنسبة إلى الإصلاح الاجتماعي التقدمي؟

ف.ب: صدر دعم أوباما الانتخابي أولا من الشبابا ومن الأقليات. لقد تسلم المقاليد بينما كان الانكماش النقدي في أسوأ حالاته ولكن الحركات لم تكن قد برزت على أي سلّم. استرجاعيا، يبدو لي أن رئاسة أوباما أفضل من رئاسة هربرت هوفر الجمهوري الذي كان رئيسا سنة ١٩٢٩ عندما أطلق انهيار مخزونات الأسواق الانكماش الكبير، وإن كان المتحمسون يرغبون في مقارنة أوباما بخلف هوفر فرانكلين ديلانو روزفلت مهندس العقد الجديد (New Deal). كان ثمة محتجون في ١٩٣٠-١٩٣١ ولكنهم كانوا قليلين. يلزم الناسَ الكثيرُ من الوقت ليستكشفوا وليروا ما الذي حدث بالضبط وما الذي كانوا يفعلوه حياله.

بدأت الاحتجاجات الكبرى في الاتساع خلال بواكير السنوات ١٩٣٠ على امتداد سنوات عديدة من الانكماش الكبير وعلى امتداد سنوات مديدة من جهود هوفر في الحفاظ على الأشياء متماسكة من خلال الترديد الذي لا يكل بأن التعافي في منعطف الطريق.

كان الأمر شبيها سنة ٢٠٠٨ إذ كان في الحقيقة نشطاء شباب من قبيل Move-on folks يعملون في الحملة، ولكنها لم تكن حركات احتجاج. ولزم الكثيرَ من الوقت أمرُ تطور احتجاجات الطلاب والعمال في ويسكنسون ثم حركات «احتلوا» (Occupy) و«كافح من أجل ١٥» (Fight for Fifteen) و«ارفعوا أيديكم» (Hands Up) و«لا تطلق النار» (Don't Shoot). أن لا شك عندي في أنها لو كانت انبعثت في ٢٠٠٨ لكان أوباما أفضل في رئاسته. الآن في ٢٠١٥، تتصاعد الحركات حقا بما في ذلك الاحتجاجات على تدني الأجور وسياسات الأمن. علينا أن نأمل أن تزدهر الحركات في الولايات المتحدة وجزئيا بحيث لا تكون رئاسة كلينتون قادرة على تجاهلها.

توجه كل المراسلات إلى فرانسيس فوكس بيفن على العنوان <fpiven@hotmail.com>
وإلى لورين مينيت على العنوان <lminnite@gmail.com>

نداء الدولة الإسلامية

حوار مع فرانسوا بورغا (François Burgat)

حاوره ساري حنفي نائب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع

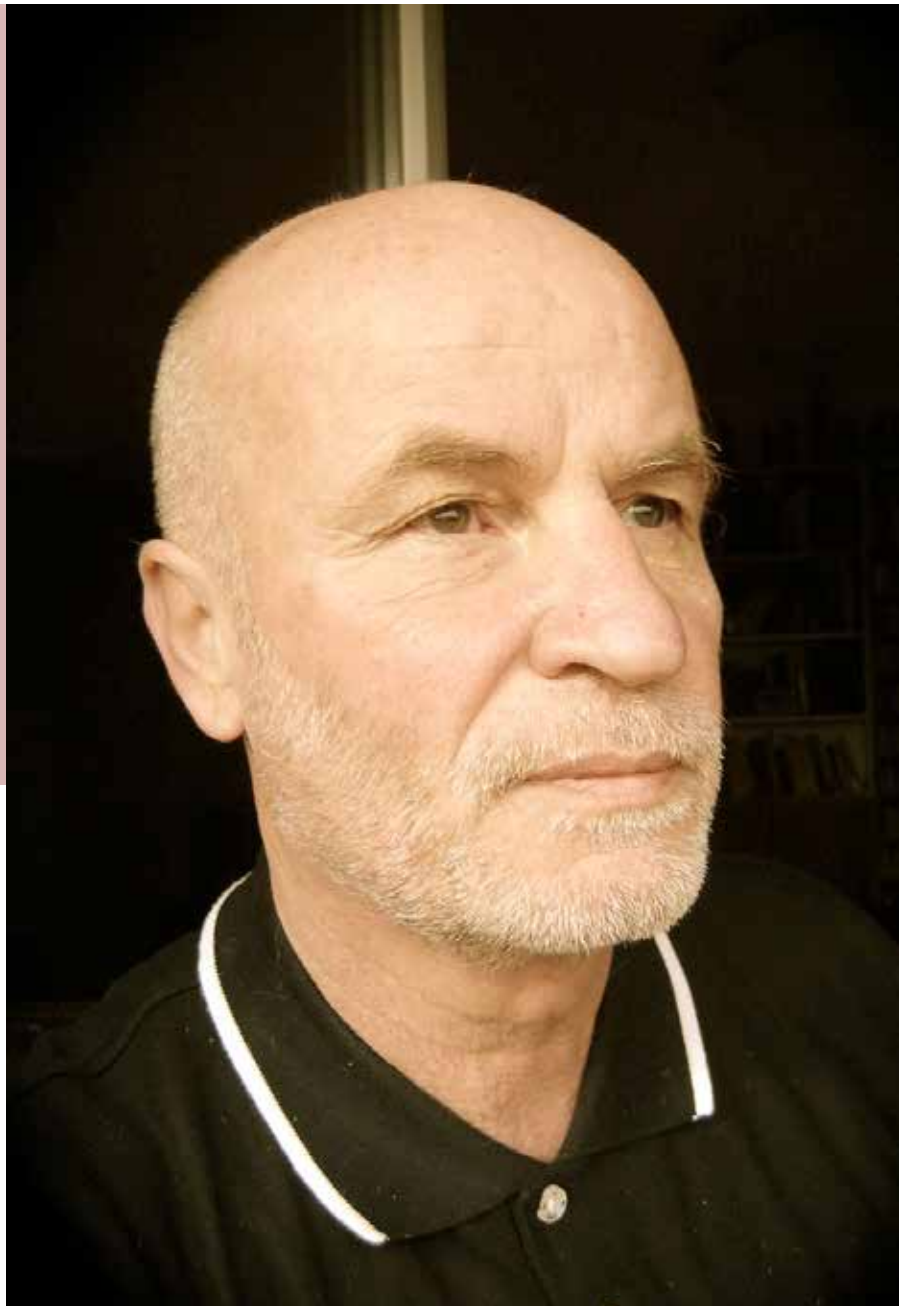

فرنسوا بورغ

فرانسوا بورغات عالم اجتماع سياسي وباحث رئيس بالمركز القومي للبحث العلمي نذر كل مساره المهني لتحليل النظم السياسية والمجتمعات المدنية في العالم العربي. هو واحد من الاكاديميين القلائل القادرين على فهم الحركات الإسلامية من دون إضفاء الصبغة الرومنطيقية عليها أو الحظ من قدرها، متحديا بشجاعة التأويلات السائدة. هو الآن باحث رئيس في مشروع مجلس البحث الأوروبي حول «عندما تسقط الاستبداد في العالم العربي» وعمله الأخير المنشور هو «ما من ربيع في سوريا: مفاتيح فهم فاعلي الأزمة وتحدياتها، ٢٠١١-٢٠١٣ Pas de printemps pour la Syrie : Les clés pour comprendre les acteurs et les défis de la crise ,٢٠١١-٢٠١٣ . حاوره ساري حنفي الذي يدرس بالجامعة الأمريكية ببيروت وهو نائب رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع مكلفا بشؤون الجمعيات الوطنية.

منذ سبتمبر ٢٠١٤ كان ادعاء الدولة الإسلامية (د إ) أنها «باقية وتتمدد» وللأسف عاكسا لحقيقة الأوضاع في العراق وسوريا على الرغم من حملة القصف الجوي الدولية. لا يعني هذا التمدد بالضرورة تعزيزا للسلطة. «الوطن السني» الذي تسعى د إ إلى إقامته لا يزال محل تشكيك لا في المنطقة فحسب بل وكذلك من قبل قطاعات من سكان المناطق التي تسيطر عليها.. قدرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، سنة ٢٠١٤ أن المقاتلين الذين يدافعون عن د إ يراوحون بين ٢٠ ألفا و ٣١,٥٠٠ ألفا في العراق وسوريا ولكن آخرين يقدرونهم ب ٢٠٠ ألفا. علينا ربط هذا التمدد بسياق انهيار الدول الاستبدادية في هذه المنطقة وكذا الاختلافات الإيديولوجية. ما من شك أن د إ ووكلاءها يعملون في بلدان مختلفة بحيث صارت ظاهرة كونية إلى الحد الذي يجعل أكثر من ٦ ألاف أوروبي من بينهم ١,٥٠٠ فرنسي يهاجرون للقتال في سوريا. العديد من هؤلاء المنتدبين الأوروبيين من أصول مسلمة ولكن عددا منهم من المتحولين إلى الإسلام. في الحوار الموالي يعرض علينا فرانسوا بورغات أفكاره حول الدوافع التي تقود أوروبيين إلى الانضمام إلى د إ.

ساري حنفي (س ح): أتت الدولة الإسلامية (د إ) بخيال سياسي جديد إلى المنطقة: إزالة الحدود، تكوين إمبراطورية،... إلخ. هل تعتقد أن ذلك يمكن أن يكون جذّابا في أعين الشباب؟

فرانسوا بورغا (ف ب): نعم بكل تأكيد. على أقل تقدير، يمثل هذا بعدا من أبعاد جاذبية د إ. ومن دون أن نبخس تقدير تنوّع الدوافع (في الحدود الموضوعة لهذا الحوار والتي تفرض المُضِيّ نحو ما هو جَوْهري...) ما من شيء يمنع تحديد ما يمكن أن نعتبره منها مكوّنا للطراز المشترك لمسارات التجذّر الجهادي. أوّل ما ينبع الولاء المُعبّر عنه تُجاه مجموعة ينظر إليها في وسط الانتماء العائلي والقومي على أنها العدو المطلق ينبع من اللّفظ الجذري لذلك الوسط. وعلى ذلك هو يتّخذ قبل أيّة قيمة أخرى قيمة «تأكيد مضاد» هويّاتي وسياسي جذري. وبغية تحديد طيف مسبباته أنا أقترح تعيين صنفين من الدوافع، «السلبية» من جهة وهي التي فيها يكون منبع لفظ بيئة الانطلاق و«الإيجابية» وبها أعني تلك التي تُنبئ عن قوّة الجذب التي لدى العالم الذي يلتحق به نصير د إ. قبل تعداد تلك الدوافع، أقترح الإشارة إلى متغيرات «إيديولوجية» وهي في هذه الحالة «دينية « تحديدا، وهي متغيرات شديدة المركزية ضمن الاتجاه العام للأدبيات التفسيرية ولكني لا أعتقد أنه من المناسب أن نرى فيها عوامل حقيقية «قادحة»، وعليه أنا أَحُدُّ دَوْرَها إذًا في كَوْنِها مجرد «عامل مساعد». نعني بالطبع ذلك «الإسلام الجذري» العارم الذي عليه تنصَبّ التفاسير الرسمية للظاهرة من ألفها إلى يائها. يحتل «الإسلام الجذري» موقعه من الأمر عندما تضرب «العدوى» شُبّانا إذا ما صادف وقرأوا صفحة من كتابات سيد قطب، أو التقوا أحد الأئمة «المتجذرين» في أعماق ضاحية أو، وهو أكثر تواترا، في أجواف الشبكة الممتدة. من وجهة نظري، أنا أكيد أن هذه المفردات (الإسلامية) المعبرة عن التجذر تزيد من سرعة المرور إلى الفعل وذلك ب»تبريره»، سواء أكان في معنى القطيعة مع العالم القديم أو في معنى الانخراط في الجديد. ولكن ذلك لا يمثل العامل القادح للتحول. مثل هذا المنطق الإسلاموي المعياري، الذي يعلن عن «معيار» إسلامي مفترض ليعيّن لاحقا «مخالفيه» يحمل في ذاته الكثير من الحدود في ما أرى.

وبالفعل لقد بيّن تاريخ مسارات التجذر العالمي بجلاء [SD٢] أن مفردات المتمرد ليست قابلة للدغم مع مصدر تمرده. يجد المرشح للثورة دائما، ومهما كانت ديانته أو معتقده، والذي يمكن أن يكون لا دينيا أصلا، الموارد الرمزية الضرورية للتعبير عن طريقة تفكيره أو تبريرها. ولكن، إذا كان المستهدفون المحتملون بالعنف الجهادي مغرمون إلى حد بالغ بالتأويلات «الإسلاموية» لدوافع خصومهم [SD٣] فذلك في الحقيقة لأن مثل هذه المقاربة، ومن خلال قصرها تعيين المذنبين على معتنقي هذه الديانة، تعفيهم عمليا من كل مسؤولية. [SD٤]لكأن مثل هذا «الوهم التربوي» (القائل بأن الجهاديين صاروا كذلك لأنهم، ربما، لم يقرؤوا «السورة المناسبة» أو لم يقرءوها «بتمامها» أو لأنهم، ربما، لم يفقهوا معناها) يعني أنه قد يكفي تجويد التربية الدينية لبضع ملايين من المسلمين حتى نخلص من الجذريات التي تمزق الساحات الإسلامية أو العالمية. من اليسير أن تتراءى لنا حدود مثل هذه المقاربة.

س.ح: ما هي السببيات «السلبية»؟

ف.ب: هي كل ما يفسر الكيفية التي بها يحيل «اللفظ الشامل» الذي يعبر عنه الجهاديون على حقيقة كونهم هم أنفسهم يشعرون أنهم، إلى هذا الحد أو ذاك، «مرفوضون كونيا». كثيرا ما يتبيّن الإخفاق الاجتماعي الاقتصادي في مسار الأقلية المتحولة من جهة، وأكثر ما يكون ذلك على الأخص عندما يزداد تعقد مصاعب الاندماج في مجتمع الكهول أو في المجتمع عامّة (حيث أن عددا من المرشحين كانوا في المنطلق في سنّ تتجاوز الثلاثين) جراء ثقل القيود ذات الارتباط المخصوص بالمنحدر المغاربي أو «المسلم». من المعقول أن نلحظ أن عددا لا يستهان به من الجهاديين المستقبليين الفرنسيين يسافرون إلى سوريا في ردة فعل أولا وبالذات على ما تعرضوا له من وصم فردي أو جماعي: تمييز في الدراسة، أو وبالطبع تمييز في التشغيل.

ولكن، وهو ما يتردد قوله أقل مما يتردّد القول الأول، تعود مظاهر التمييز هذه سواء بسواء، وبصفة أعم، إلى انعدام التمثيل السياسي. يتمظهر ذلك في مستويين اثنين: فضلا عن التمثيل الانتخابي حيث تبدو معايب النظام بجلاء في الإحصائيات، يمكن أن نرى بوضوح التضييقات النسقية الحادة من النفاذ إلى التعبير العمومي وهي أشد ضررا. ومع ذلك، وزيادة عليه تشتد تلك التضييقات بما يقابلها ويردفها من الدفع إلى مقدمة المشهد ب»شخصيات» مسلمة «رسمية» ميزتها أنها محدودة التمثيلية. لقد كان هذان المستويان المزدوجان للآلية الضارة المُؤسَّسة على هيمنة أقليّة على الأمّة قائمَيْن منذ الفترة الاستعمارية، حيث كان يُفرض عليها الصّمت أوّلا ثم، وبما يحمل آثارا أكثر مسا بالشعور بالانتماء القومي لدى أفرادها، كانت تشهد خديعة الدفع بممثلين مزيّفين يصنعون من داخلها ليقبلوا بمهمة التعبير عن تبنيهم لأسس وقوعهم ضحايا للهيمنة. من دون شك، في هذه النقطة بالضبط يقع، بالنسبة إليّ، أَحَدُ أَوّلُ محركات التجذر في فرنسا. ما من شك في أن كبرى الوسائط الإعلامية السمعية البصرية العمومية، التي تفيض قناعةً «جمهورية» حميدة، والتي تُؤْثِر المناظرات التلفزية والعناوين الملفتة حول «الجهاديين»، هي ذاتها من الداعمين لهذه «المصنوعات» التي يحتفون بها. منذ عشرين سنة خلت، في العام ١٩٩٥، وفي سياق الحرب الأهلية الجزائرية، لخّص شبان فرنسيون مسلمون كنتُ أستجوبهم مصدر هذا الشرخ الفاغر في «المعيش المشترك» الذي كانوا يكابدونه على النحو التالي: «على التلفيزيون الفرنسي، عندما يدور الحديث عن الجزائر، وعن فلسطين أو عن الإسلام، نجد أنفسنا مجبرين على الضغط (على زر جهاز التحكم لتغيير القناة). صدقني سيدي، يَأْلَمُ الإصبعُ من فرط الضغط». ثمة وصمات أكثر مباشرة (مثل التعرّض للبصاق أو لأيّ شكلٍ آخر من الاعتداء الذي تكابده زوج أو أخت بسبب ارتدائها النقاب) وهي تمثّل جزءا من سجلّ الإبْعَاد المُبرمج هذا.

س.ح: ثمة دوافع أخرى تصفها على أنها «إيجابية»؟

ف.ب: نعم، ذلك أن الحاجة إلى القطع مع عالم يناقض التطلّعات الوجودية للبعض من المواطنين لا بد أن «تُستكمل» بدوافع أخرى أكثر إيجابية. هذه تنضاف، ولكن، ومن الجوهري أن نقول ذلك، هي أحيانا، ولدى أفراد مكتملي الاندماج اجتماعيا واقتصاديا، تعوّض الدوافع السلبية بحيث تقدح بمجرد أثرها هي لوحدها زناد التزام جذري في النزاع السوري بدايةً، وفي امتداداته الدولية لاحقا. تاريخيا، كان الالتزام الجهادي، في معناه البسيط، طريقة في التعبير عن تضامن إيديولوجي أو طائفي عابر للقوميات. إن الدوافع الأولى التي تعلنها أغلبية من المنخرطين في هذا الالتزام هي الرغبة في نَجْدَة إخوانهم في الدين الذين يتغاضى الغرب، حسب ما يرون، عن إبادتهم تحت براميل المواد الكيمياوية التي تلقي بها مروحيات نظام الأسد. يشهد جندي هولندي شاب من أصل تركي قائلا: « لو كانت سَرِيَّتي الهولندية أنجدت السوريين لكنت حاربت في صفوفها». ليست أشكال تضامن ما تحت الدولة

العابرة للقوميات هذه بجديدة بالمرة في التاريخ الأوروبي. معلومة هي تلك الهبّة التضامنية النشطة التي تم التعبير عنها سنة ١٩٣٦ نُصْرَةً للجمهوريين الإسبان والتي غذّت صفوف «الألوية الأممية» حيث برزت العديد من الشخصيات وعلى الأخص الفرنسية، مَثَلها كَمَثَل انخراط الفرنسي ريجيس دوبري في صفوف حرب الغوار البوليفية. ما هو معلوم في دوائر أضيق أن الحرب الأهلية اللبنانية شهدت تجنيد مئات من المواطنين، وعلى الأخص من الفرنسيين، من ذوي الديانة المسيحية، قاتلوا في صفوف الكتائب. وليس بمستطاعنا طبعا أن نغفل ذكر مسار أولئك الفرنسيين من ذوي الديانة اليهودية الذين يتجنّدون في صفوف الجيش الإسرائيلي وإن كان هذا يعمل في الأراضي المحتلة خارج أطر الشرعية الدولية المعترف بها.

في ما يتجاوز التعبير عن التضامن إنساني الطابع، يبدو لي أن د إ تستمد قوة جاذبيتها أساسا من واقع تجسيدها، وعلى شاكلة ردع صدى لما كانت تمثله إيران الخمينية سنة ١٩٧٩ بالنسبة إلى الشيعة، يوتوبيا لنوع من «الأراضي السنية» المحررة، مجال ينظر إليه أوّلا وبالذّات على أنّه يَهَبُ المسلم إمكانية عيش دينه حسب تَمَثُّلِهِ له من دون أيّة واحدة من الموانع الموجودة في موطن انطلاقه. أضف إلى ذلك أنها عالم يمكن فيه تفعيل الدفاع عن الضحايا والدفاع عن الذات كذلك، وبالسلاح إن لزم الأمر، للردّ، سِنًّا بِسِنٍّ وعَيْنًا بِعَيْنٍ، على أعمال العنف العسكرية أو الرمزية التي تعمد إلى كيْل الرسوم الكاريكاتورية وإلى إلقاء القنابل سواء بسواء، تلك التي يقترفها المعسكر التي قرّرت التباين معه.

هذا طراز من التفكير يفلت عن الإدراكات الرسمية. يقتصر تعداد دوافع مهاجمي السابع من يناير جانفي الباريسيين، بطريقة مغرقة في النسقية، على ضحايا الكلاشنيكوف دون سواهم. وبذلك هو يضع المواجهة ضمن مَدًى مكانيّ (وزمانيّ) فرنسي- فرنسي بالغ المحدوديّة. والحال أن «تركيزا بؤريا استرجاعيا» هامّا هو الكفيل وحده بأن يجعلنا نعتبر المَدَيَيْنِ المكانيّ والزمانيّ «الواسعين» للمواجهة ومن ثم التمكن من فرصة استكشاف ملامح مفاتيح قراءتها ومعالجتها. وَحْدَه المَدَى المكانيّ الدُّوَلِي يمكّننا من أن نفهم أنّ الدوافع السلبية لا تتم ترجمتها إلى أفعال إلا لأنّها تجد لها صدًى في عُمْق شَرْخٍ سياسيٍّ عميق، دُوَلِي، انحفر في المحيط التاريخي المباشر للشّرخ الاستعماري القديم من خلال آحادية سياسات فرنسا وحلفائها في العالم الإسلامي، بصفة مباشرة (في مالي أو في العراق) أو بتوسّط حليف مُبجّل، الإسرائيلي (في غزة) أو الأمريكي (في اليمن). ما من شيء ممّا وقع بباريس كان ليحدث لولا هذه التدخلات الحربية التي تفلت على الرغم من ذلك بصفة تكاد تكون مطلقة عن تلك «التحليلات» التي تركز على المتغيرات السوسيولوجية ليس إلا. أخْتِمُ بمثال: ما كانت، على طريق فهم الرسالة التي صدرت عن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، إضافة «علم اجتماع» حول القائمين بالهجومات؟ أجدُ نَفْسِيَ اليوم أَمِيلُ إلى الإجابة بأنها قريبةٍ من الصِّفَر.

توجه كل المراسلات إلى فرانسوا بورغات على العنوان <francoisburgat73@gmail.com>
وإلى ساري حنفي على العنوان <sh41@aub.edu.lb>.

> التاريخ الغريب لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا

بقلم يان بريمان (Jan Breman) جامعة أمستردام، هولاندا

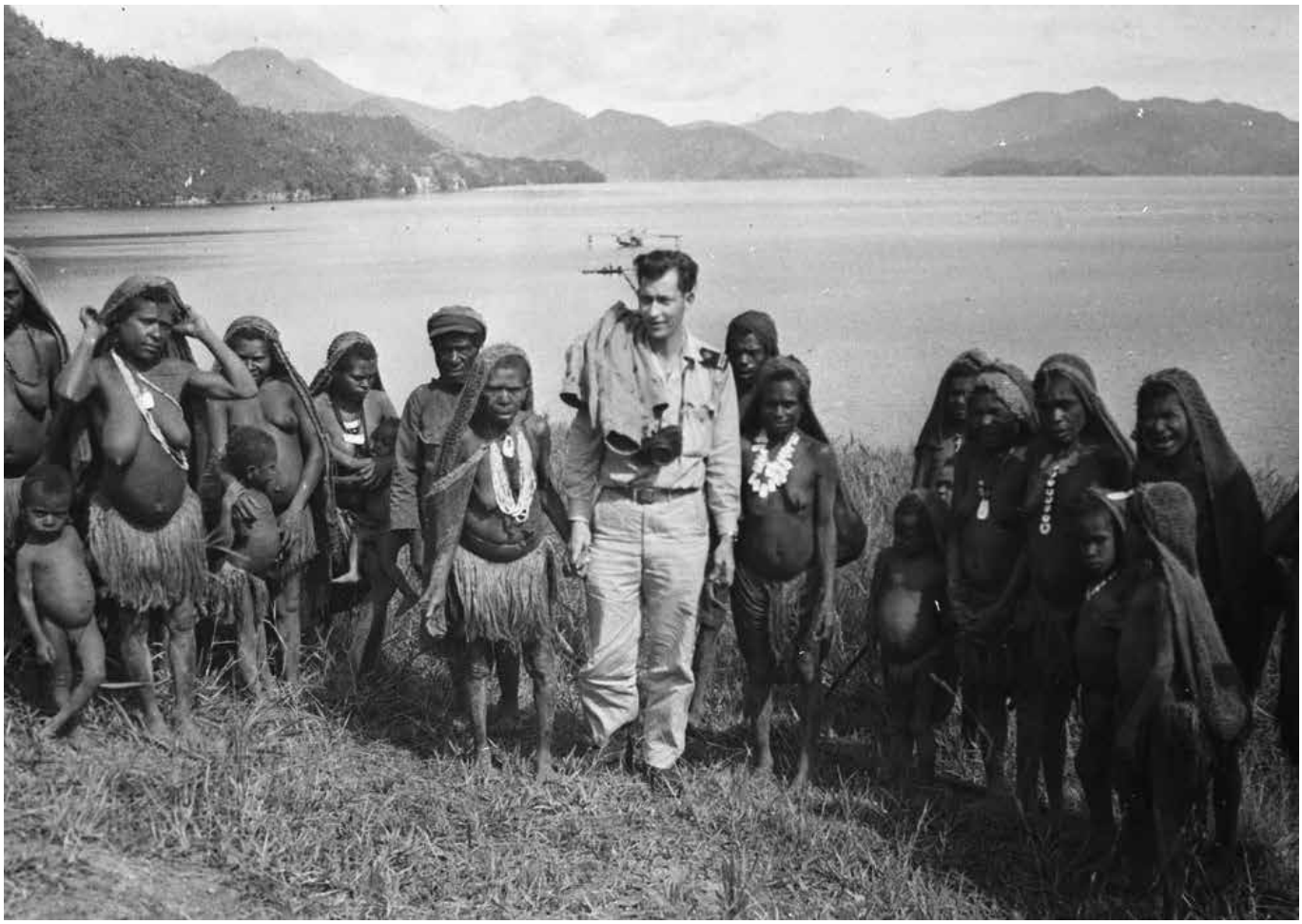

الدكتور ج.ف. بروين، متخصص في أنثروبولوجيا الحكومة الهولندية في غينيا الجديدة.
صورة من متحف الانثولوجيا الوطني، لايدن، هولندا.

في بدايات القرن العشرين رسم الأب المؤسس لعلم الاجتماع الهولاندي خطا ما بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجياالأنثروبولوجيا، بحيث، وفيما يكون على الأنثروبولوجياالأنثروبولوجيا أن تدرس الشعوب «الأقل تقدما» يكون على علم الاجتماع أن يركز على التنظيم الاجتماعي للمجتمعات «الأكثر تقدما» وهي التي تقع كلها في الغرب. على أن هذا التقسيم الواضح سرعان ما تبين أنه مفرط التبسيط.

منذ القرن السابع عشر فصاعدا بنت هولاندا إمبراطورية استعمارية وكان حكم أراضي ما وراء البحار يتطلب معرفة بالبنى الاجتماعية و الثقافية لساكنتها. الذين كانوا يعيشون في مجتمعات ممتدة ومتراكبة التنضيد وذات كتابة من قبيل الهند الشرقية، كانوا يلقبون بالأهليين أكثر من تلقيبهم بالأصليين (وهو اللفظ الذي خصص للعشائر القبلية الصغيرة غير ذات الدولة التي كانت تحوم حول مساكنها بعيدة المنال والخرقاء مثلما كان أسلافنا البدائيون). كانت الفكرة الأصلية القائلة بأن المستعمرات تكون لخدمة الميتروبول بما يبرر نقل أي فائض يمكن استكشافه فيها إلى خارجها

<<

مدعوة لإعادة الصياغة. وانتهى الأمر إلى أن صوّر الاستعمار على أنه مهمة تمدينية.

في بداية القرن العشرين كانت الهيمنة الأجنبية تبرر بأنها حماية ومساعدة للمستعمرات على التقدم تحت ذريعة الأطروحة الشهيرة القائلة ب»الحماية» التي كانت تعد بجلب القيمة إلى حيث كانت غائبة. وصار دور عالم الاجتماع الهولاندي الاستعماري مماثلا لدور عالم الأنثروبولوجياالأنثروبولوجيا البريطاني في أفريقيا الاستعمارية: نصح السلطات في ما يخص أثر السياسات أو منح النصح حول الكيفية التي بها يمكن إلحاق الإخفاق بحماسة الحركة الإسلامية الصاعدة أو الكيفية التي بها يكتشف ما يكون كامنا وراء التمردات الاجتماعية أو حول تلك المسألة التي استحوذت على كل مهجة صناع السياسة الاستعمارية وهي جعل فلاحي جافا يتشربون الروح الرأسمالية.

كانت المهمة التمدينية تعلن أن « ما هم عليهم الأهليون الآن هو ما كنا عليه نحن فيما ما مضى وما نحن عليه الآن هو ما هم مشدودون إليه بوصفهم مصيرهم». بغية إنجاز هذا التعهد بالتغيير المقلد كان على الجموع المستعمرة أن ينقطعوا بالكلية عن تاريخهم وهويتهم وأن يصيروا شعبا من دون تاريخ.

هل تخلص الرجل الأبيض من وزره عندما وضع الكفاح التحريري نهاية للحكم الاستعماري في أواسط القرن العشرين؟ بالمحاججة بأن الحكمة العلمية التي تم تجميعها حول الأعراف والمعارف الأهلية في العديد من المجالات ما كان لها أن تهدر، سمح السياسيون الهولنديون لبعض الجامعات وعلى الأخص ليدن وأمستردام بتأسيس كراسي ودروس في ما كان يسمى علم «غير الغربي» الذي يعالج المجتمعات المعقدة في المستعمرات السابقة. كانت تلك تسمية غريبة حيث كانت تعلن ما ليست عليه هذه المجتمعات ولكنها ستصير عليه مجتازة طريقا مرسومة سلفا. بالنظر إليها على أنها اختصاص منفصل، كان «علم اجتماع المجتمعات غير الغربية» مصنفا بين الأنثروبولوجياالأنثروبولوجيا (الموكولة بالمجتمعات القبلية في مواقع من قبيل بابوا غينيا الجديدة وسورنام) من جهة وعلم (الغربي) من جهة أخرى. كانت تلك خصيصة فريدة خاصة بهولندا وهي في الحقيقة تعبير عن نوع من المحلية منكرة الطابع الكوني للبرنامج الاكاديمي السائر قدما على ما وضعه عليه مفكرون مثل ماكس فيبر وفرديناند تونيز وإيميل دوركايم.

كانت زاوية النظر المركزية الأوروبية تسمح لممارسي علم الاجتماع بأن يديروا ظهورهم لما صار يأخذ على أنه عالم ثالث حيث أمكن لهم أن يحصروا

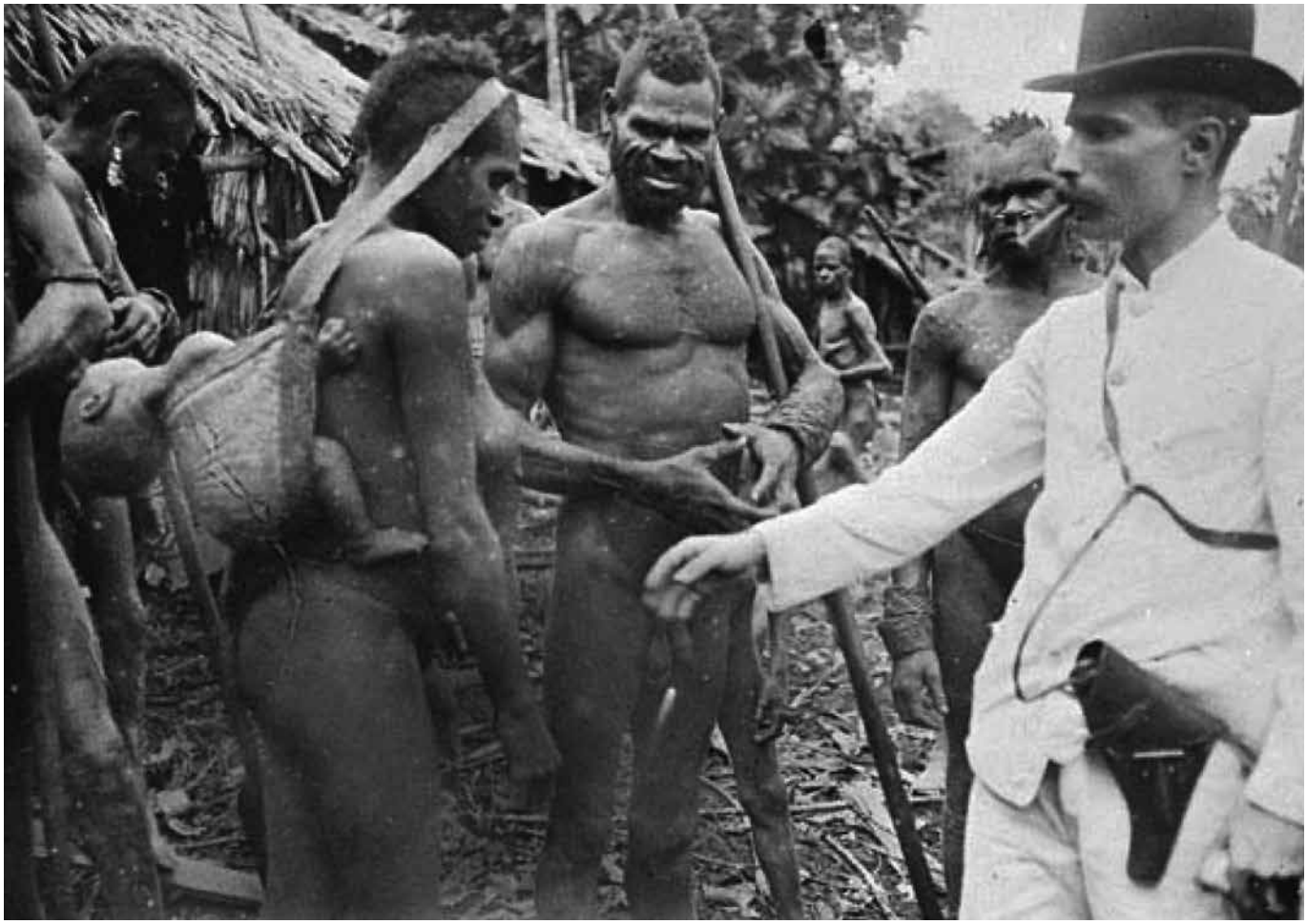

في أول بعثة إلى غينيا الجديدة في عام ١٩٠٦،هولندي يريد مصافحة امرأة «بابوا» الذي يبدو عليها الارتباك. صورة من متحف الإثنولوجيا الوطني، ليدن، هولندا.

صناعتهم في دراسة المجتمع «الحديث» في الشمال الكوني. كان وزر المهمة التمدينية أبدية ولكنها في حقبة ما بعد الاستعمار تحولت إلى التزام شكلي بمساعدة بلدان «متأخرة» في محاولتها اللحاق بالأمم «الرائدة». حينها تم استبدال الإشارة «غير غربية» الحرجة والتي كانت تضع تحت عنوان واحد شعوبا وثقافات متنوعة بمانيفستو أكثر وضوحا كان يبتغي أن يدفع بالتنمية حيثما فشلت في الظهور في الجنوب الكوني وهو ما ولد علم اجتماع تنمية ملتزمة برسم الطريق التي على بقية العالم الذي يؤوي غالبية الجنس البشري أن تسلكه في ما يعتبر تطورا من نمط عيش زراعي- ريفي إلى نمط عيش صناعي حضري.

في الأثناء كان مجال الأنثروبولوجياالأنثروبولوجيا قد تغير هو أيضا. اختفى «أسلافنا على قيد الحياة»، فإن لم يتمّ إنهاؤهم في المآوي البعيدة في استراليا و آسيا أفريقيا والأمريكيتين عندما يتم فتح هذه المناطق ضمن مسيرة التقدم، كانوا يدمجون في تشكيلات دولوية أوسع فاقدين بذلك أية استقلالية مهما كانت شدة محاولاتهم في الحفاظ عليها. ولكن باعتمادهم منهج بحث مختلف عن علم الاجتماع، تحرك علماء الأنثروبولوجياالأنثروبولوجيا قدما موجدين مواقع أخرى لممارسة ما أسموه «عملا ميدانيا» مقتربين من الناس الذين كانوا يضعونهم تحت عدسات ملاحظتهم ساعين إلى مرافقتهم بحيث صاروا أليفين مع ما كانوا يتناولونه.

ولكن كيف السبيل إلى رسم حدود علم الاجتماع؟ رأى أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة أمستردام، حيث اخترت الدراسات الأسيوية في أواخر السنوات ١٩٥٠، أن عليها أن تركز على التقليد في حين تكون الحداثة مشغل علم الاجتماع. تبين أن خط الفصل هذا غير صالح منذ البداية لأنه كان من المستحيل تثبيت خصائص مميزة في كلا طرفي الفصل. يظل المبحث الجوهري لكلا الاختصاصين مركز على السبب الذي تتبلور بموجبه سيرورات التغير وكيفياتها وآثارها. يناقش الاختصاصان العلاقة بين الماضي و الحاضر من دون تشييء التقابل الذي يتعارض فيه التقليدي مع الحديث.

عندما سميت أستاذا لعلم الاجتماع المقارن في الجامعة التي درست فيها سنة ١٩٨٧ ولم أكن أرغب في كرسي يقوم تحت مسمى «دراسات المجتمعات غير الغربية « أو «دراسات التنمية» أسسنا أنا وزميل قديم معهد أمستردام للبحث في العلوم الاجتماعية (م أ ب ع اج Amsterdam School for Social Science Research (ASSR)) ووضعنا برنامجا للدكتوراه يسعى إلى أن يجمع بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا والتاريخ الاجتماعي و ذلك من أجل دفع البحث في منظور تاريخي حول ديناميات الكوكبة. وعلى الرغم من النجاح التام لإنجازنا الاكاديمي فإننا عجزنا عن أن نقنع لا الوكالة القومية للرعاة ولا مكتب جامعة أمستردام بضرورة توفير تمويل مناسب للبرنامج. بفعل افتقادنا الفادح للدعم تم التخلي على مراحل عن م أ ب ع اج لفائدة معهد أمستردام للبحث العلمي الاجتماعي (Amsterdam Institute for Social Science Research). فريق التدريس في كليتنا مقسم إلى قسمين، علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا ولكل واحد منهما ملمحه البحثي الخاص.

هل أعيد تأسيس الثنائية من جديد؟ على العموم نعم، بما أن تركيزهما يكون على الغرب وما عداه وهو المرادف الحديث للتقسيم بين «الأكثر» تقدما و»الأقل» تقدما. العودة إلى الفصل مرتبكة على أكثر من صعيد ولكنها قائمة رئيسيا لأن التمييز المجتمعي والجيوسياسي بين الروّاد والملتحقين أقل دلالة في المعنى مما كان عليه سابقا. صار المسار المقدس للتغير الزاعم أن الأمم الأقل تنمية ستلحق بالتي أنجزت تنميتها إلى الانطماس. لا تتبع البقية الغرب في العديد من المسائل ومن يدري ربما دللت وجهة التغيير وسرعته على أن عليها أن تدور إلى الاتجاه الآخر.

توجه كل المراسلات باسم يان برهان على العنوان <J.C.Breman@uva.nl>

> ميراث علم الاجتماع

العمومي النمساوي

بقلم رودولف ريشتر (Rudolf Richter)، جامعة فيينا، النمسا، رئيس اللجنة التنظيمية المحلية لمنتدى ج د ع اج الثالث، فيينا ٢٠١٦

مصنع الغزل والنسيج،العام ١٩١٤ في مارينثال.أرشيف لتاريخ علم الاجتماع في النمسا.جامعة غراتس.

عنوان المنتدى الثالث للجمعية الدولية لعلم الاجتماع الذي صاغه رئيسه يقول « المستقبلات التي نريد: علم الاجتماع الكوني والكفاحات من أجل عالم أفضل». موقع المنتدى مناسب لمثل هذا الموضوع إذ أن علم الاجتماع النمساوي سعى طويلا إلى الموائمة بين الأثر العلمي والالتزام الاجتماعي. خلال السنوات ١٩٣٠، وعلى أثر تضميد عشرينات القرن العشرين آلام الحرب العالمية الأولى، ضرب الانكماش المجتمع النمساوي. بمعية الإحصائي هانس زيسل (Hans Zeisel) قامت ماري جاهودا (Marie Jahoda) وبول لازارسفيلد (Paul Lazarsfeld) ب»دراسة مارينتال» الشهيرة التي تفحصت أثر البطالة كثيفة الأعداد في قرية ما رينتال بعد إغلاق مصنع. في مقدمة الطبعة الألمانية الأولى للدراسة شرحت ماري جاهودا مقاصد الباحثين وهي المساهمة أولا في حل مشكل البطالة في مارينتال وثانيا في توفير تحليل موضوعي لحالة مجتمعية تساعد على بلوغ ذلك الغرض. تلك المقاصد لا تزال تقود علم الاجتماع النمساوي عنيتُ مساع علمية تعالج مشاكل مجتمعية.

في توطئة لطبعة لاحقة، لاحظ بول لازارسفيلد أن الباحثين وفضلا عما سبق حاولوا أن يطوروا طرائق جديدة في دراسة مارينتال حيث قاسوا سرعة المشي لدى أبناء القرية، ووزعوا رزنامات وطلبوا من التلاميذ أن يكتبوا تحارير حول أمنياتهم واستعملوا معطيات إحصائية متوفرة لدى المكتبة حول الكتب المعارة وطلبوا من العائلات أن يسجلوا محتويات وجباتهم.

في سياق موضوع المنتدى من الجدير أن نلاحظ أن باحثي مارينتال لم يصرحوا بأي حكم قيمة حول المستقبل ولا ابتدعوا مستقبلات بديلة. ولكن الدراسة وفرت نموذجا ل» الكفاح من أجل عالم أفضل» حيث وهبت لنا فهما أفضل للمشكل الاجتماعي الذي ينتظر حلا. بإظهارها آثار البطالة في أوضاع الأفراد والجماعة سواء بسواء فصلت الدراسة القول في كيفية تحطيم أنماط الحياة اليومية والطريق إلى التسليم بالأمر الواقع. إن الجرد الشارح لهذه القضية المجتمعية تجعل مسؤولية صناع السياسات مؤكدة.

تلقت اللجنة العلمية في فيينا كذلك أثرا موجها من مجموعة أخرى هي «حلقة فيينا». كان رودولف كارناب (Rudolf Carnap) وواضعي الوضعية المنطقية الآخرين بمن في ذلك الإحصائي أوتو نوراث (Otto Neurath) مؤثرين في نشر المعرفة العلمية الاجتماعية في صفوف الجمهور وهو نموذج معتاد في علم الاجتماع النمساوي. بمعية الفنان جيرت أرنتز (Gert Arntz) ابتدع نوراث الإحصائيات التشكيلية وأسس متحف المجتمع و الاقتصاد (Gesellschafts- und Wirtschaftsmuseum) في فيينا من أجل نشر الإحصائيات الاجتماعية للجمهور. ولا يزال المتحف موجودا إلى اليوم.

ولكن الوضعية المنطقية لحلقة فيينا لست إلا خيطا واحدا ناظما لعلم الاجتماع النمساوي

>>

متحف مارينثال بشيع ماري جاهودا،هانس زيسل،بول لازرفلد،و لوت شنك دانزينغر.أرشيف لتاريخ علم الاجتماع في النمسا.جامعة غراتس.

حيث أضافت الواقعية النقدية التي ابتدعها كارل بوبر (Karl Popper) منظورا آخر. لقد كان كتابه «المجتمع المفتوح وأعداؤه» (The Open Society and Its Enemies) مجادلة حماسية ضد المجتمعات الشيوعية «المنغلقة». وإذا ما نحينا جانبا البعض من الانتقادات المهتاجة للكتاب، رأينا أن حجة بوبر السياسية بالغة الوضوح: على المجتمعات أن تظل مفتوحة على المستقبل ولكن لكلها تاريخا وسيظل لها تاريخها. كل عمل على غلق المجتمعات تجاه التأثيرات الخارجية وعلى بناء عالم مثالي ومهما كانت النوايا الإنسانية الكامنة في ذلك تؤدي إلى الكليانية، وليس ذلك واحدا من «المستقبلات التي نريد».

لقد كان للحربين العالمتين اللتين شهدهما القرن العشرون أثر ممتد في العلوم في النمسا وفي أوروبا الوسطى والشرقية. على أثر الحرب العالمية الثانية بدأ علم الاجتماع النمساوي من الأساس ولم يتم تأسيس قسم لعلم الاجتماع في جامعة فيينا إلا خلال السنوات ١٩٦٠. في البداية كانت مجالات بحث علماء الاجتماع الأساسية هي استكشاف مشاكل اجتماعية من قبيل الإسكان الحضري ووضعية الشباب والعلاقات ما بين الجيلية، وبحثوا ثم نسقوا تقارير لفائدة الحكومة حول أوضاع العائلة والرعاية في مجتمع بدأ يصيبه التهرم السكاني. منذ السنوات ١٩٧٠، تولى عدد أكبر من الباحثين تحليل مشاكل الهجرة باذلين النصح صناع السياسات حول المقاربات الجديدة. وكانت تحاليل البني الاجتماعية المتعلقة باللاتساوي والتنضيد الاجتماعي جوهرية بالنسبة إلى البحث. واستمرت الدراسات العلمية الاجتماعية في تلقي اهتمام عمومي كبير وكثيرا ما كانت تناقش على صفحات الجرائد.

ربما كانت الحصيلة المميزة لعلم الاجتماع النمساوي خلال العقود الأخيرة التزاما أوثق بدراسة المشاكل الاجتماعية مع تجديد نسقي في تطبيق الطرائق المنهجية الاعلمية الاجتماعية. وأنا آمل أن يستمر علم الاجتماع النمساوي في هذا التقليد مثلما تدل على ذلك مدونة منتدى الجمعية الدولية لعلم الاجتماع /univie.ac.at/blog.http://isaforum٢٠١٦

إن الاندماج الذي يمكن أن يربط علم الاجتماع بالمشاكل الاجتماعية يثير أسئلة قوية لا علاقة لها بموضوع منتدى ج د ع اج الثالث: ما هي المستقبلات التي نريد؟ وكيف لنا أن نكافح من أجلها؟

أبدأ بالإجابة على السؤال الثاني: كيف نكافح؟ وجهة نظري الشخصية هي أن على علماء الاجتماع أن يكافحوا بوصفهم علماء اجتماع أي نسقيا وعلميا وتحليليا من دون أي ارتهانات مصلحية مثلما قال يوغن هابرماس (Jürgen Habermas). بالنسبة إلى علماء الاجتماع على كفاحهم من أجل عالم أفضل أن يثير كفاحا من أجل تطوير الطرائق و النظريات العلمية الاجتماعية بغية فهم المشاكل الاجتماعية.

يقودنا ذلك إلى السؤال الثاني: ما المستقبلات التي نريد؟ لئن كان بمستطاعنا أن نسمي المشاكل الاجتماعية لمجتمعنا الراهن من قبيل اللامساوة السائدة والفروق أو النفاذ المتخالف للموارد إذا ما اقتصرنا على هذين المشكلين فإنه من الخطير وضع وصفة لمستقبل مثالي خال من هذه المشاكل. المجتمعات المثالية كليانية دائما وعلى الأخص عندما تدعي مجموعة من الناس، ولئن كانوا علماء اجتماع، أنها تعرف الحقيقة.

بدلا عن التساؤل عن مستقبلات مخصوصة ربما كان على علماء الاجتماع أن يعلنوا مثلما كان كارل بوبر ليفعل في مثل هذا السياق، « نحن نرغب في مستقبلات مفتوحة عل التغيير ومجتمعات لها تاريخ متصل».

توجه كل المراسلات إلى رودولف ريشتر على العنوان
<rudolf.richter@univie.ac.at>

> الولايات المتحدة وكوبا:

التركيب العسير

لويس إ. رامبوت (Luis E. Rumbaut)، التحالف الكوبي الأمريكي، واشنطن دي سي، الولايات المتحدة وروبن جي رامبوت (Rubén G. Rumbaut)، جامعة كالفورنيا، إيرفين، الويات المتحدة الأمريكية

ماذا تبقى من الثورة الكوبية؟تمثال جوزيه مارتي يحدق بصورة لشي غيفارا حول ساحة الثورة في هافانا.

في خطاب من ثلاثة عشر دقيقة ألقاه باراك أوباما خلال شهر ديسمبر الماضي، اعتبر أن سياسة خنق الاقتصاد الكوبي التي امتدت ٥٣ سنة باءت بالفشل. كانت الولايات المتحدة، أو على الأقل ذراعها التنفيذي، مستعدة لتجريب مقاربة جديدة معيدة العلاقات الدبلوماسية مع عين على علاقة حسن جوار وشراكة اقتصادية. إذا ما استعدنا عبارات خوسي مارتي (José Martí) البطل القومي الكوبي ومثقف القرن التاسع عشر الكبير كان على المفاوضات أن تخاض في صمت إذ أن المصالح المتخندقة كان يمكن أن تفشل محادثات السلام حتى من قبل أن تبدأ.

على نحو فجائي قدمت هذه المصالح على أنها محلية وذاتية النفع. لم يكن خطر الثورة المضادة شيئا مقارنة بالتهديد الذي تمثله الشركات الأمريكية التي كانت ترى مثيلاتها وافدة من كل أرجاء العالم لتستقر في كوبا وعلى الأخص في مجال السياحة. صار من الممكن الخوض في المزيد من زراعة وتربية ماشية وصناعة خفيفة وأدوات والسلع الاستهلاكية والبناء والإسكان والنقل وصولا إلى المغامرة في قطاع تكنولوجيا الطب الحيوي فائقة التقدم.

يساند قطاع الأعمال الكبيرة و الصغيرة الرئيس اليوم ويسافر المزيد والمزيد من الناس في ظل قوانين أكثر مرونة كما يعتبر المزيد و المزيد من الكوبيين المهاجرين والزائرين حرية التنقل بين ميامي وهافانا تحصيل حاصل. المتشددون تجاه ميامي في

<<

الرئيسان راوول كاسترو وباراك أوباما يصافحان بعضهما في قمة الأمريكيتين في نيسان ٢٠١٥.

أغلبهم في نفس تقدم سن فيدال وراوول فيما يخلفهم وافدون جدد لم يخبروا خسران الثورة في بدايات الثورة. تبدو السياسة الجديدة اليوم وكأنها موجة غير قابلة للتوقيف.

ولكن و فيما تبدو الإمكانيات هائلة تبدو التعقيدات بنفس الهول على طريق التطبيع، وليست إعادة العلاقات الدبلوماسية إلاّ الخطوة الأولى فيها.

>النموذج الكوبي المُحيّن

منذ سنوات، وقبل إعلان أوباما، بدأت كوبا في تطارح مقاربة اقتصادية جديدة وضرورية. أدت المناقشات إلى خطوط توجيهية عامة متفهمة لنقل ملكيات الأراضي غير المستخدمة، وتقنين الأعمال الصغرى وصيغ جديدة لاستقلال منشآت الدولة وتشجيعات للتعاونيات الزراعية و غير الزراعية.

على كوبا من دون شك أن تنجح في توفير المزيد من الغذاء بتعويض شراءات الغذاء من الخارج بمنتجات منتجة محليا، ولصغار المزارعين والتعاونيات الصغرى شديدة الأهمية أن تكون مداخليهم أعلى، خالقة طلبا لدى الصناعات الحضرية الجديدة. وبفضل خدمات محسنة وأجور متزايدة الارتفاع سيكون للشعب أن يتمتع بظروف مادية أفضل بكثير مما هو عليه الحال راهنا.

ولئن كان هذا هو النزور فإن النتائج بعيدة عن أن تكون حاصلة. عقدت مجموعة من العوامل مفردات الصورة بما في ذلك توفر المدخلات الزراعية الأساسية والنقل ما بين الأرياف و المدن وتبريد المنتجات والعدد الكافي من الصناديق الحاوية والأكياس والآلات الفلاحية ووقودها والعديد الآخر من مستلزمات التحسين لنظام بنيته التحتية المتقادمة غير ملائمة.

المقاولون الكوبيون غير فعالين على الغالب ومفتقرون إلى المهارات المناسبة لتدبر مثل هذه الأعمال الصغيرة ومعالجتها تعاقديا وإمساك حساباتها وهو الأمر المهم لا لازدهار الجباية بل و كذلك لجمع الأتاوات وهو مشغل جديد إلى حد ما منذ أن بدأت مجال تدخل الدولة ينحسر والقطاع الخاص يمتد. وعلى قطاع الدولة الذي سيظل مهيمنا وعلى الأخص في مجالات السكر والسياحة والمناجم والنفط والتكرير والصحة والطب الحيوي والتعليم والنقل الحديدي والجوي وأن يطور من إنتاجيته هو أيضا.

تواجه كوبا تحديين اثنين غير معهودين بالنسبة إليها هما الحاجة إلى تعزيز العملات الجارية (البيسو والبيسو القابل للتحويل) وتهرم ساكنتها. كان الأول من التحديين مطلبا شعبيا مديد العمر. الحكومة تتحرك تدريجيا معترفة أن المواطنين الذي ظلوا إلى الآن يستخدمون البيسو غير القابل للتحويل يجدون أن العملة الأقوى وهي القابلة للتحويل خارج نطاق منالهم فيما يؤثر تدفق الدولارات والسلع الوافدة من الخارج و على الأخص من فلوريدا الجنوبية في العائلات بطرق مختلفة حسب وجود أقارب لهم خارج البلاد يساعدونهم.

ليس تهرم ساكنة كوبا حالة فريدة ولكن التحدي الذي يضعه هو الفريد. يعني التقدم الطبي الكوبي أن شعبها يعيش عمرا أطول وهو ما يحصل منذ عشريات طويلة ولكن هجرة الشبان ذوي المهارات تعقد الصورة العامة وكذا يفعل التحضر. يعقد تدني نسب العمال الشبان على الأخص تنفيذ مخططات استخدام الأراضي الموضوعة حديثا حيث تحتاج الفلاحة إلى الشباب بمن في ذلك الذي تلقوا تعليما في العلوم الزراعية والتدبر المتصرف في الأرض والتسويق والحقول ذات الصلة. سجلت تعدادات ساكنة كوبا في ما بين ٢٠٠٢ و٢٠١٢ لأول مرة منذ حرب التحرير الكوبية في القرن التاسع عشر تراجعا، وكان عائدا غلى الخصوبة البطيئة و الهجرة. وخلال هذه العشرية حصل أكثر من ٣٣٠،٠٠٠ كوبي على إقامة دائمة قانونية في الولايات المتحدة.

وفيما تستوجب مخططات الاقتصاد الكوبي الجديدة جهودا من أجل الرفع من الانتجاية الفلاحية يتوجب سواء بسواء على الأعمال الصغيرة والتدبر المتصرف المحسن في منشآت الدولة وميناء ماريال الجديد والسياحة المفتوحة (وربما صارت مكثفة) الوافدة من ولايات المتحدة والتجارة متزايدة التحرر مع كل البلدان أن تساهم هي أيضا في الازدهار الجديد.

>مصالح الولايات المتحدة الدائمة

غيرت الولايات المتحدة أساس ارتكاز سياستها لا طيبة ولكن اعتبارا لمشاغل أوضع. حدثت الكثير من التغيرات في المنطقة بما في ذلك نجاح منظمات من قبيل «التحالف البوليفاري لشعوب أمريكيتنا- معاهدة تجارة الشعوب» (المعروفة بالإسبانية بـ ALBA - TCP) (« Alianza Bolivariana para los Pueblos de Nuestra América - Tratado de Comercio de los Pueblos) و»اتحاد الأمم الأمريكية الجنوبية» (المعروف بالإسبانية بـ Unión de Naciones Suramericanas - UNASUR) و»مجموعة بلدان أمريكا اللاتينية والكاريبي» (المعروفة بالإسبانية بـ Comunidad de Estados Latinoamericanos y Caribeños CELAC,) التي لا تشرك أية واحدة منها الولايات المتحدة الأمريكية وهو تغير حاد كما كان عليه الأمر ماضيا حيث لم يكن من الممكن لأية منظمة ما بين أمريكية أن تتفادى منح الولايات المتحدة موقع الشرف. في الأثناء أمكن لروسيا وعلى الأخص للصين أن تشق طريقا لها في أمريكا اللاتينية والكاريبي. يمتعض الحلفاء

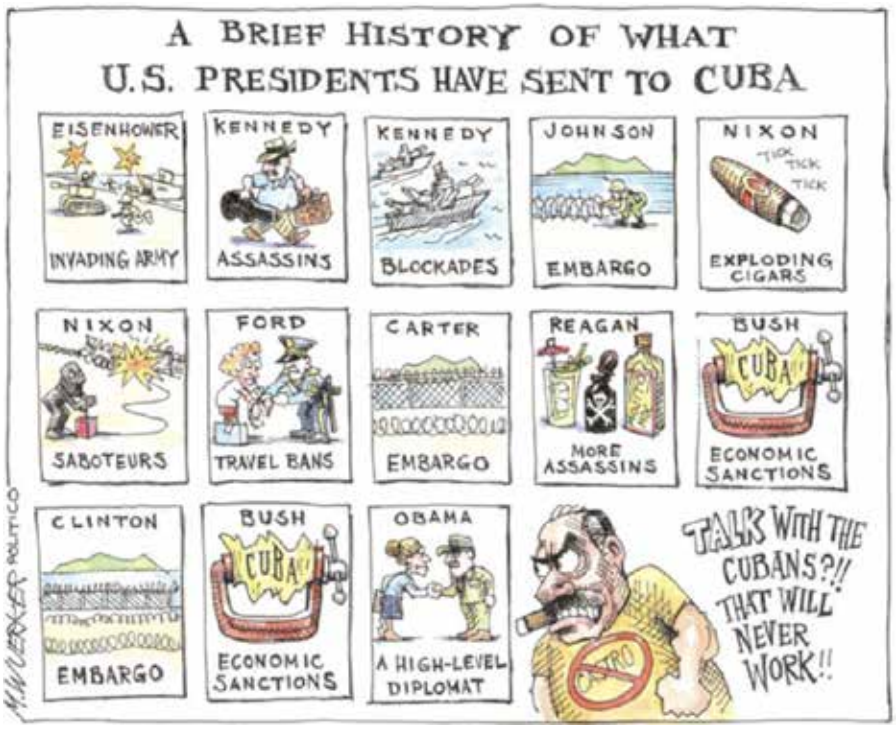

رسوم كارتونية كوبية من م.ويركير بوليتيكو.

التقليديون للولايات المتحدة من إلحاحها على تبني سياستها تجاه كوبا حيث لم تصوّت خلال السنة الماضية في الأمم المتحدة إلا إسرائيل لفائدة الحصار. لم تتمكن الولايات المتحدة من إزاحة كوبا في حين غنمت هذه الاحترام والاثنان من عدة بلدان كثيرة على امتداد العالم. لقد كسبت كوبا المعركة وإن لم تكن السلم مضمونة.

من المحتمل أن تستمر الولايات المتحدة في السعي إلى تحويل كوبا إلى جزيرة نيوليبرالية تابعة بطريقة أو بأخرى وهو تقدير قائم بصرف النظر عن الحزب أو الرئيس الماسك بالسلطة في واشنطن وحتى و إن صارت الشركات الأمريكية إلى العثور على فص تجارة مربحة من دون مثل هذه السياسة الخارجية.

>انتخابات ٢٠١٦ و ٢٠١٨

ما المنتظر في المستقبل المنظور؟ تنتهي رئاسة أوباما سنة ٢٠١٦ ويحتمل أن يمسك الجمهوريون بالبيت الأبيض وبكلا غرفتي الكونغرس. قد يحصل الجمهوريون على البيت الأبيض وأغلب مرشحيهم الحاليين يعتبرون أن تغيير النظام الكوبي مهمة لا تزال قيد الإنجاز. للديمقراطيين متشددوهم في الكونغرس وقد صرحت مرشحتهم الرئاسية الرئيسة وهي النيوليبرالية الملتزمة المحبذة «للقوة الناعمة» أنها ستعيد أمريكا اللاتينية والكاريبي إلى ما كانت عليه زمن عهدة زوجها في الرئاسة قبل انتخاب غوغة تشافيس في فنزويلا. ولا يمكن إنهاء التشريع الفيدرالي المخول للحصار إلا بتصويت الأغلبية في غرفتي النواب والشيوخ.

يفترض في كوبا أن تكون برئيس جديد سنة ٢٠١٨ يبدو على الغالب أنه سيكون نائب الرئيس الحالي ميغال دياس- كانل (Miguel Díaz-Canel) وسوف يستلم مقاليد الاقتصاد الجديد وكذا المجتمع الجديد. وقد صرح بأن كوبا ستستمر في اشتراكيتها و إن أفسحت في المجال لقوى السوق من أجل العمل وصارت طبقة جديدة من المقاولين إلى تعزيز مواقعها.

تأمل العديد من البلدان في تصالح القوة العظمى والجزيرة العنيدة، وذلك ممكن. تحفز السياسات الجديدة السياسية في الولايات المتحدة و لاقتصادية في كوبا التأسيس لحقبة من العلاقات متبادلة النفع ولكن ٥٥ سنة من الخلافات غير قابلة للنسيان سريعا.

إلى حد الآن نحن على يقين من شيء واحد: ستظل الولايات المتحدة و كوبا متباعدتين بتسعين ميلا.

توجه كل المراسلات إلى روبن رامبوت على العنوان التالي <rrumbaut@uci.edu>

وإلى لويس رامبوت على العنوان التالي: <lucho10@earthlink.net>

عن العنصرية والثورة

حوار مع الناشط الكوبي نوربارتو ميسا كوربونال (Norberto Mesa Carbonell)

حاورته لويسا ستور (Luisa Steur)، الدانمارك

منذ سنة ١٩٥٩، سعت الثورة الكوبية إلى تعزيز المساواة العرقية. في بلد لم تلغى فيه العبودية إلا في سنة ١٨٨٦، أعطت الثورة الفرصة لعدد كبير من الكوبيين السود للحصول لأول مرة على الأرض والتعليم، بفضل سياسة قائمة على المساواة الكلية والتزام صريح بالقضاء على التمييز العنصري. يجادل النقاد بأنه حتى وإن كانت كوبا بعيدة عن كونها ديمقراطية غير عنصرية، إلا أن البلد قد بدل كل ما في جهده، مقارنة مع مجتمعات أخرى، للقضاء على اللامساواة العرقية.

لكن، ومنذ إعلان حالة الطوارئ في وقت مبكر من تسعينيات القرن الماضي، انخفضت الموارد إلى حد كبير. أقيمت الإصلاحات في اتجاه اقتصاد السوق على حساب زيادة اللامساواة، والتي غالبا ما اقترنت بلون البشرة، وارتفعت حدة التوترات العرقية بشكل ملحوظ. لمواجهة هذا الوضع، طور الفنانون والمثقفون السود المنخرطون في المجال العام جماعة دينامية من النشطاء المناهضين للعنصرية، مرتبطة في جزء منها بالفرع الكوبي ل «ARAAC» الرابطة الجهوية لأحفاد الأفرو-أمريكا اللاتينية والكاريبي (Regional Afro-descendant Articulation of Latin America and the Caribbean, Cuban Chapter)، بدعم من الحكومة.

بمناسبة واحدة من الفعاليات المنظمة من طرف «ARAAC»، تعرفت لوسا ستور بنوربارتو ميسا كوربونال –أسود يجاوز الستين سنة، ويحافظ على شغفه بالسياسة. يعتبر هذا الحوار عبارة عن مقتطف من عدة مقابلات طويلة أنجزت خلال نهاية سنة ٢٠١٤ وبداية سنة ٢٠١٥ من طرف لوسا ستور، التي تجري أبحاثا حول كوبا تابعة لجامعة كوبنهاكن. تجدون نسخة مطولة من هذا الحور متاحة في موقع غلوبال اكسبرس (Global Express):
http://isa-global-dialogue.net/?p=4222

نوربيرتو ميسا كاروبنل

ل س: نوربارتو، حدثنا قليلا عن نفسك.

ن م ك: من الناحية السياسية، أعد حالة معقدة. في سنة ١٩٦١، نُظمت واحدة من أولى الحملات الثورية الكبرى لمحو الأمية، كنت حينها لا أزال في العاشرة من عمري، حينما كنت أُعلم الآخرين القراءة والكتابة ! وفي سنة ١٩٦٣، وهي السنة التي ضرب فيها إعصار فلورا (Flora) الجزيرة، كنت حينها في الثالثة عشر من عمري والتحقت بلواء لجمع محصول القهوة من محافظة الشرق. في ماي ١٩٦٣، كانت هناك تعبئة عسكرية كبيرة، وكنت قد بلغت السادسة عشر من عمري حينما وجدت نفسي خلف المدافع، في انتظار وصول السفن الأمريكية ! يمكنني أن أقول لكم أنني كبرت مع الثورة، وقرأت كثيرا. كنت قائد فريق عملي، وأنشئت خلية عن الحزب.

احتلت الثورة مكانة خاصة في حياتي. لكن خلال سنة ١٩٨٠ حدث أمر جعلني أترك الحزب. خلال حقبة (l'exode de Mariel) ترك الكثير من الفقراء والسود كوبا هربا من الفقر. كان من المفترض أن نعتبرهم خونة، ونرميهم بالبيض. وجدت

<<

نفسي وجها لوجه مع أحد الرفاق الشباب الذي تعرض للنقد بسبب رفضه المشاركة في هذا الاضطهاد...وتم استبعاده ! بعد أن تركت الاجتماع فكرت: ماذا لو كان أخي واحدا من هؤلاء الذي يستقلون القوارب، والناس ينظرون له على أساس أنه خائن للمجتمع! وبالتالي سيهاجمونني أنا. لذلك قررت أن أقدم استقالتي. إنها مسألة ضمير.

قامت الثورة على مجموعة من الأشياء الجيدة، بما في ذلك مسألة السود. لهذا السبب واصلت مراسلة ومناشدة المؤسسات الحكومية؛ وعلى عكس المعارضين السياسيين الآخرين، لا زالت لدي رأي ايجابي بخصوص هذه المؤسسات، ومازالت ثوريا بلغة فيديل كاسترو (Fidel Castro). إن غالبة السود مساندون للثورة –وهو أمر منطقي- من منطلق أن الثورة قد جاءت لمساندة السود. لكن، هذا لا يعني أنه علينا أن نظل «ممتنين» للأبد.

بدءا من تسعينيات القرن الماضي، حيث أضحت اللامساواة تحظى بأهمية متزايدة، بما في ذلك اللامساواة العرقية، أنشأنا «أخوية الزنوج» (Cofradía de la Negritud) لمكافحة الميز العنصري. إن الأخوية تزعج، نظرا لأننا لم نستطع تسمية أعضائها بالمنشقين سياسيا. تقوم أفكار أخويتنا في جزء كبير منها على الخطاب الاشتراكي، حتى لو تبنينا موقف نقدي: ببساطة، نريد اشتراكية خالية من الميز العنصري ! من خلال نضالنا طالبنا الحزب الشيوعي بمواجهة مشكلة العنصرية بكوبا، طالما أن الحزب لم يبدي اهتمام واضح بهذه المسألة والمؤسسات الأخرى لم تحرك ساكنا في هذا الصدد.

ل س: ما المشاكل الرئيسية المتعلقة بالعنصرية، والتي تطرح اليوم بكوبا؟ نعلم أنك خبرت الأمر؟

ن م ك: قُمعت المنظمات المدافعة عن السود بحجة أنها «عنصرية». لم يكن للسود سوى فرص نادرة لتشكيل هوية ايجابية. على سبيل المثال، يستخدم مصطلح « adelantar» (المضي قدما) للإشارة إلى الزواج المختلط بين السود والبيض: أي أن الشخص الأسود قد تخلص من سواده ! حقيقة، ينظر إلى اللون الأبيض كلون مثالي يحد من مستوى تعريف السود مع شرطهم العرقي. وبالتالي، من الصعب جدا مواجهة مشاكل عرقية كبرى، فالسود لا زالوا اليوم مستبعدين من الوظائف ذات الأجور المجزية.

شخصيا خبرت الأمر جيدا. عملت لسنوات طويلة بميناء هيمينجواي (Marina Hemingway). في سنة ١٩٩٧، أصحب أحد جيراني مسئولا عن أحد محلات الميناء. لذلك سألته عما إذا كان باستطاعته أن يوفر لي عملا – قبل كل شيء، فنحن أبناء نفس القرية واشتغلنا معا في الماضي، ولي خبرة طويلة في خدمة الاستقبال الفندقي بفنادق دولية، وأتحدث الانجليزية بطلاقة. فقال لي، «نوربارتو، سأساعدك، لكن ما قصة الاستقبال والمتاجر؟ هذا أمر غير ممكن. سأبحث لك عن عمل في أحد المستودعات، فالسود لا يمكنهم العمل في اتصال مع الجمهور بميناء هيمينجواي». وسبق لهذا الشخص أن كان زعيما حزبيا! حينها كنت بحاجة ماسة إلى العمل فقلت له: «آه، نعم، المستودع...لما لا...».

بعد فترة وجيزة، علمت أنهم يبحثون عن حراس أمن، وحصلت على عمل جديد. كنا خمسة عمال –اثنان لهم توصيات عليا، بينا أنا والعاملين الآخرين كنا سود، ومن الذين يتقنون اللغة الانجليزية. لكن من على استعداد لإعادة تكوينه حينما لن يصبح الفندق في حاجة إلى حراس الأمن؟ بالطبع، لدينا ثلاثة سود يتحدثون بالانجليزية ! تم إرسالي للتدريب كي أصبح حارس أمن. أتذكر قدومي الأول إلى المكان، كان عدد السود قليلا في مجال السياحة، لكن في هذا المكان الخاص بإعادة التكوين فأعدادهم كبيرة: أكثر من ٦٠٪ من السود !

لكن الوضع ازداد سوءا: تم رفضي بصورة غير قانونية. قدمت شكوى إلى النقابة، لكن لم يحدث شيء. لذلك قررت تقديم شكوى انتهاك حق المساواة، كما هو منصوص عليه في القانون الجنائي. توجهت نحو مكتب المحاماة، الذي وجهنني نحو المكتب البلدي للمدعي العام، والذي أعاد توجيهي نحو الشرطة. أتذكر بوضوح تعبيرات الموظف الذي استلم مني شكوى انتهاك الحق في المساواة، والذي نظر إلي مصعوقا: «انتهاك الحق في المساواة؟» «أجل، صديقي، أنا أتهم مدير الفندق بالميز العنصري !» وتوقف عن الكلام. سجل رئيسه الشكوى، بعد أن فتح تحقيق في الأمر ! أصبح الفندق في حالة استنفار: أخذ الضابط المسئول عن التحقيق مهمته بجدية، وتم نقل المدير إلى فندق أخر. لكن في نهاية المطاف، وصلتني رسالة من النائب يخبرني فيها بأن موضوع شكواي لا يعتبر جريمة جنائية، ولا يمكن بذلك متابعة الضنين. وانتهى الأمر هنا.

حينما عِلمْت أن وكالة (Cubatur) في حاجة إلى مرشدين سياحيين، تقدمت إلى المهنة: بفضل خبرتي في الاستقبال الفندقي واتقاني للغة الانجليزية، كنت أعتقد أنني كفئ للوظيفة ! لكنهم أخبروني بأن المسئول ليس هنا، ولن يعود قبل يوم غد. في اليوم الثالث، وبينما كنت أنتظر دوري لأقابل المسئول، ظهر شابان أبيضان، يتحدثان عن المنصب الذي كنت أتطلع إليه. وفجأة ظهر المدير، وحينما أردت أن أتوجه صوبه، أخبرني بأن المناصب قد امتلأت.

تطرح هذه المشكلة بالنسبة لجميع الوظائف بكوبا. عملت معظم حياتي كعالم وراثة في الكثير من شركات الألبان الأكثر تطورا بكوبا، والتي كانت تستورد الأبقار من فصيلة (Hosltein). في البداية، حينما حضرت اجتماعات رفيعة المستوى، لاحظت أن معظم الحاضرين هم من البيض، ولم أكن أولي الموضوع أهمية بالشكل الذي أوليها له اليوم. كثيرا ما كنت أرى أشخاص سود، أكفاء للعمل، يتم تعويضهم بأشخاص بيض. وهذا ما حدث في الشركة الصيدلانية البيولوجية المرموقة التي كنت أشتغل بها مؤخرا: كانوا يحاولون التخلص من كل العمال السود –الأكفاء طبعاً- ناهيك عن شخص مثلي بنشاطه السياسي والحقوقي. إن العديد من زملائي الذين تعرضوا لمضايقات في العمل، قد غادروا. أما أنا فقط اخترت التقاعد مبكرا.

في العام الماضي، وجّهت جمعيتنا رسالة مفتوحة إلى اتحاد عمال كوبا [CTC النقابة الوحيدة] لحثه على التنديد بالعنصرية، وماذا فعلوا؟ لا شيء. إننا في حاجة إلى أن يتخذ كل طرف زمام المبادرة ويعترف بوجود المشكل. كما أن هذا الأمر ليس حالة معزولة، فأي من منظمات المجتمع المدني لم تتحدث عن المشكل. إن «بناء اشتراكية مزدهرة ومستدامة» هو شعار النظام الحالي؛ أجل، مزدهرة ومستدامة، لكن ماذا عن العنصرية؟ إن كل هذه الإصلاحات الاقتصادية الجديدة، وجذب المستثمرين الأجانب وتعزيز تنمية «cuentapropismo» (التشغيل الذاتي)، من شأنها فقط أن تكرس اللامساواة العرقية في البلاد.

ل س: هل يمس المشكل الاقتصادي للعنصرية بكوبا، أساسا، العمال السود الأكثر كفاءة وتكوينا؟

ن م ك: إن المشكل الرئيسي للعنصرية بكوبا هو الفقر. العديد من الشباب السود لا يستطيع الذهاب إلى الجامعة. وبدلا من الدراسة، يشتغل العديد منهم في مهن بسيطة من أجل إعالة أسرهم. كيف يحدث هذا في بلد يأتي إليه ما يقرب من ألف شاب باكستاني لإتمام دراسته في الطب، على نفقة الحكومة، في حين أن آلاف من الشباب الكوبيين لا يستطيعون توفير تكاليف دراستهم ولا يحصلون على أي مساعدة؟ كان من المفترض أن يكون قيام الثورة «للفقراء ومن اجل الفقراء»، لكن اليوم فقط الأسر التي بمقدورها تحمل النفقات هي التي ترسل أبنائها للدراسة؟

تعلمون، هناك آلاف الهكتارات من الأراضي الكوبية يتم التخلي عنها نظرا لكون الناس لم تعد تريد العمل في الزراعة. وفي نفس الوقت، لدينا كل هؤلاء الناس الذين يهاجرون إلى المدينة ولا يستطيعون الحصول على سكن لائق. أود أن أبحث عن أسر سود مستعدة للاستقرار بالبادية وإقامة مجتمع فلاحي. بطبيعة الحال، ستحتاج

<<

تعليق غامض على مكان العنصرية في كوبا اليوم. «أغو بلانكا، أغوا نيغرا «و المقصود بها(المياه البيضاء، المياه السوداء] .هذه العبارة مكتوبة على براميل المياه فوق كاليخون دي هامل في وسط هافانا. هذا الفعل يأتي كجزء من مبادرة فنية اجتماعية للتعريف بالثقافة الأفرو-الكوبية. صور لويزا

إلى مساعدة ودعم ووسائل للإنتاج، جرارات..الخ. لماذا لا نطلب من المنظمات غير الحكومية أن تقدم مساعدات أولية؟ طبعا، يتطلب هذا الأمر من الدولة أن تتنازل عن ملكية هذه الأراضي. اليوم، يتم بيع الأراضي هنا وهناك، إذا، لما لا؟ في القرن التاسع عشر، كان بكوبا عدد كبير من المزارعين السود الأحرار، خاصة بالمقاطعة الشرقية. شارك العديد من الأحرار السود في حرب الاستقلال [ضد اسبانيا] وتخلوا عن مزارعهم لينضموا إلى صفوف جيش التحرير، لكن الشركات الأمريكية-الشمالية اشترت أراضيهم نظرا لكون ملكية الأراضي لم تكن محفظة بشكل رسمي. ماذا حدث لهؤلاء السود؟ بالطبع كانوا على استعداد للتمرد. شارك العديد منهم في انتفاضة ١٩١٢ بالمنطقة الشرقية، من أجل المطالبة باسترجاع أراضيهم، وتحت قيادة ألوان حزب الاستقلال مات العديد منهم في الحملة التي أعقبت ذلك.

هذا هو السبب الذي جعل من مسألة إعادة التوطين اليوم قضية عدالة تاريخية –ستكون التفاتة ايجابية للحكومة لو وزعت الأراضي على هؤلاء الناس. سيكون الأمر متوقع من لدن أولئك الذين يرغبون في برنامج للعدالة التاريخية لأسرهم من السود، لكن لما لا تفتح الفرصة في وجه البيض الراغبين في المشاركة. لكن بالنسبة للسود، ستكون واحدة من الفرص النادرة لتحسين أوضاعهم المادية على الخصوص.

ل س: بالنسبة لك، كيف تنظم أمورك الآن؟ وأين تجد الموارد اللازمة لتنظيم أنشطة (The Cofradía)؟

ن م ك: حصلت على معاش يدفع لي بالبيزوز (pesos)، بضع دولارات، لكن الأمر ليس سهلا. أعمل كحارس ليلي لدى أحد الأثرياء مقابل ٣٠ دولار في الشهر. من الصعب تنظيم الصفوف في ظل غياب الموارد –أكثر ما يمكننا تقديمه هو وجبة طعام لأولئك الذين يأتوننا من بعيد. أحيانا، نؤجل اجتماعاتنا بسبب عدم توفر المال اللازم، ونحن مشغولون أيضا ب luchar (الكفاح من أجل تغطية نفقاتنا الخاصة). لكن على الأقل الناس على دراية بأن ما نقوم به نابع من قناعة، وليس له أي دوافع أخرى. سنواصل وسنكافح بدون أدنى شك. إنني لا أتصور أن أحفادي سيعيشون نفس المشاكل التي عشتها، وهو ما كان ليكون أسوء، بالعودة إلى الوضعية التي كانت قبل الثورة.

توجه كل المراسلات إلى لويسا ستور على العنوان <luisasteur@yahoo.co.uk>
وإلى نوربارتو ميسا كوربونال على العنوان <nmesacarbonell@gmail.com>

> أخبار صادمة من هافانا:

عملة التنظيف الكوبيون في زمن متحول[1]

بقلم لويسا ستور (Luisa Steur)، الدانمارك

شاحنة لجمع القمامة في وسط هافانا.الصورة للويزا ستوير.

يعتبر السابع عشر من دسمبر ٢٠١٤، حدث تاريخي بالنسبة لهافانا، حيث أعلن الرئيس الأمريكي باراك أوباما أن الولايات المتحدة الأمريكية وكوبا تسيران في اتجاه تعزيز العلاقات بين البلدين. خوان، تحول من ملاكم سابق إلى عامل نظافة بأحد الأحياء، مخلص لكاسترو (muy fi delista)، سمع الأخبار على تلفازه القديم الذي عثر عليه في إحدى المرات في القمامة، يقيم حاليا في مكتب صغير لخدمة الطريق السريع بأحد أحياء مركز مدينة هافانا (عاصمة كوبا). في اللحظة التي سمع فيها، من خلال شذرات لخطاب راؤول كاسترو (Raúl Castro)، بأن «خمسة أبطال» كوبيين [عملاء حكم عليهم بالسجن المؤبد بالولايات المتحدة الأمريكية] قد أطلق سراحهم تغلب عليه العاطفة: كل المطالب، التي تم الترويج لها منذ سنوات طويلة بالجزيرة من خلال المظاهرات والجداريات، أخيرا تم الوفاء بها. لكن ما إن حل المساء، ووجد نفسه أمام lucha [كفاحه اليومي من أجل لقمة العيش]، والبحث في القمامة عن ما يمكن بيعه مقابل بعض النقود، حتى ارتفعت حدة النقاشات بينه وبين رفاقه في العمل: سوف يحصل «الأبطال» بعد عودتهم إلى كوبا على تعويض عن كل الرواتب المتأخرة لجميع السنوات التي قضوها في السجن؟ وحتى سيارة ومنزل؟ يشدد خوان بنبرة مصطنعة على أنه ما من مبلغ مالي يمكن أن يعوض هؤلاء الرجال عن كل تلك السنوات التي قضوها في سجن يانكيس (yankees)، لكن تعليقه لم يجد سوى صمت محير من طرف رفاقه في العمل.

ماري، جارة خوان، تشاهد تلفازها المسطح الذي يلتقط بت القنوات المحظورة لميامي. يقدم البرنامج الذي تتابعه معاناة ابنة طيار أمريكي أسقط من طرف الجيش الكوبي بعدما أخبر أحد «الأبطال الخمسة» السلطات الكوبية بأن الفتاة مؤهلة ل»التدخل الإنساني» وهو الأمر الذي اعتبرته كوبا «هجوما إرهابيا». تملك مشغلة ماري منزل يستأجر للسياح، حيث تشتغل ماري في التنظيف. تدعوها إلى العودة إلى العمل متدمرة: هذه الفتاة « chica» « تحلم فقط بالعمل في المكسيك –ليس لها أدنى فكرة عما هو عليه العمل حقا، في ظل الرأسمالية». عندما تغادر ربة العمل، تتذمر ماري هي الأخرى «هذه المرأة قذرة

>>

–أحب أن أرى ما سيحل بها عندما تستغني عن خدماتي: إذا كان السياح يأتون إلى هذا المنزل، فذلك بفضلي أنا ! قبل أن تضيف، متفائلة، بأنه وفي ظل هذه المستجدات، فهي ليس بحاجة إلى الذهاب إلى المكسيك: بكل تأكيد، فالاقتصاد الكوبي ينمو من جديد، وسيكون هناك المزيد من السياح وفرص أفضل !

لكن هل الحياة كانت ستكون حقا أفضل للناس أمثال خوان وماري؟ مثل الكثير من الكوبيين، فهم يعتقدون أن التغيير سيكون مفيد. بالنسبة لهم، الانفتاح الاقتصادي، يعني أن الدولار سوف يبدأ بالتدفق؛ ترى الساكنة أن مستويات المعيشة قبل سنة ١٩٨٩، كانت أفضل ! حيث ضمنت بطاقات التموين امتدادات كافية للجميع وكان بإمكان الكوبيين الحصول على التطبيب والرعاية الصحية وفرص للتعليم. قلة هم من سينظرون إلى إمكانية أن يعطي ١٧ دسمبر ٢٠١٤ بداية جديدة لمسار كوبا ما بعد الاشتراكية، تتميز بالخصخصة والسوقنة وتحول الدولة وتعزيز اللامساواة.

فلنأخذ خوان على سبيل المثال: يكسب من عمله في جمع القمامة حوالي ٨٠٠ بيزوز (ما يقارب ٣٢ دولار) –إضافة إلى كونه مسئول في نفس الشركة. لكن كثير من زملائه استثمروا في شراء العقارات لتحوليها إلى شقق تستأجر للسياح (بما يقارب الثلاثين دولار لليلة)، ويملكون شبكاتهم الخاصة للتواصل الخارجي وتحويل ودائعهم ضمن بنية الفرص التي يمكن استغلالها على مستوى السوق. بالنسبة لخوان، الأمل الوحيد لكسب بعض المال الإضافي وسد حاجاته ومتطلباته الشهرية هو جمع العلب القديمة على شاحنته واستخلاص بعض المال من الجيران لقاء عمله معهم في مناسبات خاصة. لا تغطي بطاقته التموينية سوى احتياجاته الأساسية –ليس بحاجة إلى الخضروات ولا اللحوم ولا الحليب نظرا لكونه يعاني من قرحة مزمنة في المعدة. على الرغم من كونه يعيش لأزيد من عشر سنوات بهافانا، إلا أنه غير محصى. دون وصفة طبية، اضطر إلى شراء (omeprazole) من السوق السوداء. يعيش في قلق دائم، في ظل انتشار إشاعات مفادها أن المصالح البلدية التي تديرها الدولة ستتحول إلى «تعاونيات» (cooperatives)، وهي العملية التي من شأنها أن تؤدي إلى زيادة في الأجور لكن فصل مجموعة من العمال –من الممكن أن يكون خوان واحد منهم.

على عكس خوان، تم إحصاء ماري رسميا، ولها سيولة كافية تمكنها من العمل في مختلف الخدمات الاشتراكية لفائدة عائلتها. لكن بما أنها cuentapropista (تشتغل لحسابها الخاص) –فئة تنتشر بكثرة في كوبا- فإيراداتها لا تتجاوز الأربعين دولار في الشهر ولا تمتلك الحق في الأمن الاجتماعي، ولا في العلاوات ولا في التقاعد. ترفض مشغلتها أن تصرح بها قانونيا، وتدفع رشاوى لمفتشي الشغل وتخفضها من راتب ماري، ليصل إلى الصفر، ما يجعلها تعتمد كليا على البقشيش الذي يقدمه السياح. لا تتفق ماري ومشغلتها حول من يجذب السياح إلى المنزل، لكن النقاشات لا تسير على قدم المساواة: رغم ما تحصل عليه من بقشيش، لا تستطيع ماري أن توفر سوى ٢٥ دولار في الأسبوع، في حين أن مشغلتها تكسب حوالي ٥٠ دولار في الليلة الواحدة. تعيش ماري في قلق وخوف مستمر، مع تقدمها في السن، دون أن تتمكن من ضمان لا معاش لائق ولا مدخرات شخصية.

تذكرنا هذه الحكايات بتجارب سكان أوروبا الشرقية خلال فترة سقوط الاشتراكية، فحينما تُركت «التعاونيات» الحديثة النشأة دون موارد غادرها العديد من العمال، في حين طالب المسئولون السابقون من جهاز الدولة، المدافع والمتحمس للخصخصة، تحويل صلاحياتهم في إطار هيكلة حقوق (شبه) الملكية. في كوبا، من المرجع أن الطبقة الحضرية ل (koulaks) التي أخذت في التوسع- شكلت من طرف الملاكين الذين يستفيدون من عائدات السياحة والعقار- وستعمل على رفع القيود وضمانات سندات الملكية الخاصة وتخفيض الضرائب، ما من شأنه أن ينعكس سلبا على العمال والفقراء ويفكك شبكات الأمان الاشتراكية.

مع ذلك، كوبا ليست هي أوروبا الشرقية. بنيت الاشتراكية الكوبية انطلاقا من ثورة حقيقة، بدعم شعبي، طال انتظاره وأعد لها بصبر، ولم تقم على أنقاض الاحتلال السوفيتي. إن الاشتراكية والثورة حقائق أهلية (autochthonous) بكوبا، يعكسان الشعور بالفخر من قبل العمال فضلا عن كونهما طريقة في العيش الاشتراكي والشعبي اللذان يميزان قلب مدينة هافانا. في سياق وضع دولي متغير يمكن لكوبا أن تنخرط في مسلسل الاشتراكية الجديدة (new-socialist) بدلا من ما بعد الاشتراكية (post-socialist) – في انتظار أن يحدث هذا، ينبغي الاعتراف بالمخاطر التي من المحتمل أن تهدد المسار العام لما بعد الاشتراكية، في إطار النقاش العام.

توجه كل المراسلات إلى لويسا ستور على العنوان < luisasteur@yahoo.co.uk >

[1]- أجريت بين شتنبر ٢٠١٤ ويناير ٢٠١٥ بهافانا بحث ميداني، بشراكة مع "مركز خوان مارينيلو للبحوث الثقافية (Juan Marinello Center for Cultural Research). أود بهذه المناسبة أن أتقدم بشكر خاص إلى المشاركين في "الندوة الدولية للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية" التي عقدت بين ٩ و ١٢ يناير ٢٠١٥، وكذلك أشكر ضيوف لجنة التحولات العالمية والانثروبولوجيا الماركسية للاتحاد الدولي للعلوم الأنثروبولوجية والإثنولوجية (International Union of Anthropological and Ethnological Sciences) على معلوماتهم التي استخدمتها في هذا المقال. إن الأسماء التي أعطيت للعمال الواردين في المقال هي أسماء مستعارة ومن نسج الخيال.

> حركة عباد الشمس

وورطة علم الاجتماع التايواني

بقلم مينغ شو هو (Ming-sho Ho)، تايوان

تحرك دوار الشمس في تايوان الذي ساهم في تطوير دور علم الاجتماعي العمومي.

احتجاجا على اتفاقية التبادل الحر الموقعة مع الصين، اقتحم الطلبة التايوانيون مبنى البرلمان في مساء ١٨ مارس ٢٠١٥، تمهيدا لحركة احتلال من شأنها أن تؤدي إلى أزمة سياسية. ما كان يطلق عليه ب «حركة عباد الشمس» (Sunflower Movement)، استلهمت في جزء منها في موازاة مع حركة «ثورة المظلات» (Umbrella Revolution) بهونغ-كونغ، التي حدثت ستة أشهر قبل ذلك. مما لا شك فيه أن المعارضة الجماعية هي أهم وأطول حلقة في تاريخ تايوان، حيث ارتفعت أصوات النشطاء السياسيين والحقوقيين منذ أن أنتخب حزب (Kuomintang) على رأس الدولة سنة ٢٠٠٨. مرة أخرى، انتهت حركة عباد الشمس بسلام، مع انقطاع العملية التشريعية المؤدية لاتفاقية التبادل الحر المثيرة للجدل.

لا تملك تايوان أي تقليد تاريخي في العصيان المدني، وثقافتها السياسية المحافظة ليست تربة خصبة للاحتجاجات الراديكالية. حظيت حركة عباد الشمس بدعم شعبي كبير لثلاثة أسباب رئيسية: أولا، لأنها سعت للدفاع عن النهج الديمقراطي، وطالبت بمزيد من الشفافية وتنظيم المفاوضات الدولية؛ ثانيا، لأنها احتجت ضد التبادل الحر؛ وثالثا، لأنها سعت نحو تعبئة شعبية في مواجهة الصين. يمكن أن نرصد أيضا ضمن هذا الاحتجاج غير العادي ضد النظام، عناصر احتجاج اجتماعي على الشاكلة البولانية، من منطلق أن الطموحات الإقليمية لجمهورية الصين الشعبية في تايوان تصاغ اليوم في شكل «تشجيعات وتبادلات اقتصادية من جهة وتضيق الخناق من جهة أخرى» -ينظر إلى هذا التبادل بشكل عام كمصالح خاصة لكبرى الشركات على حساب الموظفين والديمقراطية.

شارك المجتمع السوسيولوجي –متمثلا في المدرسين والطلبة- بقوة في الحركات الاحتجاجية بشكل غير مسبوق. استجابة لدعوة قادة الحركة لمقاطعة الدروس في البلاد، علقت شعب علم الاجتماع بجامعة تسينغ هوا (Tsing Hua)، و تايبيه (Taipei) و صن يات صن (Sun Yat-sen) دروسها في تحدي صارخ لإدارات الجامعة ولوزارة التربية الوطنية. استمر العديد من أساتذة علم الاجتماع في تقديم دروسهم أمام البرلمان المحاصر وأمام الجامعات. شارك العديد من الطلبة والأساتذة، في إطار تجربة الديمقراطية التشاركية مع المتظاهرين، في حلقات نقاشية مشتركة حول مجموعة من المواضيع مثل التبادل الحر أو تشغيل الشباب. ينتمي العديد من طلبة علم الاجتماع الذين شاركوا في احتلال البرلمان، من بينهم تشين واين تينغ (Chen Wei-ting)

>>

القائد الكارزمي لحركة عباد الشمس، إلى جامعة تسينغ هوا، إضافة إلى مجموعة من المتطوعين والمشاركين المجهولين. بعد أن نظمت «TSA» الجمعية التايوانية لعلم الاجتماع (Taiwanese Sociological Association) عملية تصويت عبر الانترنيت، والذي جاءت نتائجه بالإجماع، نشرت في ٢٥ مارس ٢٠١٥ بيان دعم لحركة عباد الشمس. وفي شهر نوفمبر، واعترافا بالنشاط الطلابي، دعت «TSA» الطالب واين تينغ، الذي لعب دور مركزي في الحركة، ليلقي كلمة افتتاحية في مؤتمرها السنوي.

بالتأكيد، هناك أقلية من علماء الاجتماع التايوانيين يعارضون فكرة توريط المدرسين في الحركة. في الوقت الذي نشر فيه نص يعارض فكرة المشاركة السياسية بذريعة «الحياد» «neutrality»، ضمن النشرة الإخبارية ل«TSA»، رد مؤيدو المشاركة بتنظيم حلقة نقاشية حول أهمية هذا المفهوم الفيبري في عصرنا. لكن هذا النقاش حول المهمة والدور العمومي لعلم الاجتماع قد أثبت من جديد صحة وحيوية تخصصنا.

تسببت المشاركة الإعلامية الواسعة النطاق للجماعة السوسيولوجية التايوانية في ردود فعل جد عدائية –وطبيعية- من طرف المحافظين. اتهم عضو من حزب الكومينتانغ «Kuomintang» علماء الاجتماع بأنهم «لا يقومون بأي شيء سوى تحريض الطلبة على النزول إلى الشارع»، مطالبا وزير التربية الوطنية بمراقبة أقسام علم الاجتماع بالجامعات العمومية. أثار هذا التشهير المباشر ردود فعل قوية، فقد عقد العديد من الطلبة والمدرسين منتديات مفتوحة من اجل الدفاع عن الروح النقدية لعلم الاجتماع –كانت مناسبة نادرة للتأكيد على أهمية هذا التخصص أمام العموم. تعتبر موجة الاحتجاجات الهاتفية التي استهدفت شعب علم الاجتماع تجربة غير سارة، نظرا لكون معظم المتصلين رفضوا الكشف عن هويتهم إضافة إلى استخدمهم لغة عدوانية، ما جعل الموظفين يشعرون بأنهم يتعرضون للمضايقة. تلقى قسم علم الاجتماع بجامعة «صن يات صن» اتصال هاتفي من أحد الآباء الذي عرف عن نفسه وأدان قرار المدرسين بتعليق الدراسة بكونه يهدد مستقبل ابنته التي من المفترض أن تحصل بعد ثلاثة أشهر على شهادة الماجستير. (في الواقع لم ينشأ قسم علم الاجتماع بجامعة «صن يات صن» إلا مؤخرا ولم يكن يضم بعد طلبة السنة الرابعة إبان حركة الاحتجاجات).

عموما، كان تأثير حركة عباد الشمس على علم الاجتماع التايواني جد مفيد. بفضل دوراتنا التكوينية، وديمقراطيتنا التشاركية، ومنتدياتنا المفتوحة اكتسب تخصصنا رؤيته الفريدة. تحول اهتمام الطلبة المشاركين في حركة الاحتجاج شيئا فشيئا نحو علم الاجتماع، والذي يمتلك عدة مفاهيمية فعالة ومناسبة لدراسة كيفية الحفاظ على السلطة، ممارستها والتنازع حولها في المجتمعات المعاصرة. في سنة ٢٠١٥، تضاعف عدد الطلبة الذين وضعوا ملفات التسجيل في سلك الماجستير في علم الاجتماع بالجامعة الوطنية بتايوان، واكتسب العديد من المرشحين خبرة معيشة من خلال حلقات حركة عباد الشمس ما دفعهم نحو اختيار علم الاجتماع.

على الرغم من أننا لا نستطيع معرفة التأثير الطويل المدى لحركة عباد الشمس، إلا أنه يمكن لتجربة الماضي أن تمدنا ببعض المؤشرات. في سنة ١٩٩٠، نجحت «حركة الزنبق البري» (The Wild Lily Movement) في إشراك الطلبة في مسعى تعزيز الديمقراطية، وأعطت دماء جديدة لتخصصنا. العديد من الطلبة النشطاء السابقين قد أصبحوا اليوم علماء اجتماع مهنيين، وعملهم كمدرسين وباحثين هو الذي أعطى للسوسيولوجيا التايوانية سمة الالتزام. لقد حان الوقت، ليحمل جيل عباد الشمس مشعل علم الاجتماع التايواني ويعيدوا تشكيل ملامح هذا التخصص.

توجه كل المراسلات إلى مينغ شو هو على العنوان < mingshoho@gmail.com >

> ما الأوْلى؟ الحركة العمالية أم الحركة البيئية؟

بقلم هوا جين ليو (Hwa-Jen Liu)، الجامعة الوطنية بتايوان، ومسئول لجنة البحث ب(ISA) حول الحركات العمالية (RC٤٤)

مسيرة في تايوان ضد الأسلحة النووية بعد كارثة فوكشيما.
٣٠ نيسان ٢٠١١

في ١٢ نونبر ١٩٧٠، نظم جيون تاي ايل (Jeon Tae-il) –عامل بأحد المصانع الكورية الجنوبية للنسيج- مظاهرة ضمت العشرات من العمال احتجاجا على ظروف العمل المزرية والمطالبة» بتقليص ساعات العمل اليومي إلى تسع ساعات والاستفادة من أربع أيام عطل في الشهر». بعد ذلك، وحينما تأججت المواجهات، أضرم جيون النار في نفسه مرددا «نحن لسنا آلات ! طبقوا القانون !». أطلقت هذه الأحداث –التضحية بالنفس من طرف جون والأحداث التي أعقبت ذلك- الشرارة الأولى لحركة نقابية ديمقراطية في البلاد أبانت عن الصراع العميق بين الرأسمالية والعمال في سياق خطة التنمية التي قادها المجلس العسكري.

قبل أربعة أشهر، دعا ٩٥ مزارع إلى ضرورة توزيع تعويضات مالية على المتضررين من صرف النفايات السائلة السامة في نظام الري المحلي من طرف مصنع للصناعات الغذائية، والتي ألحقت أضرار جسيمة بمحاصيلهم الزراعية خلال السنتين الأخيرتين. شكل هذا الحدث، إضافة إلى ٦٤ ملتمس مماثل، الحلقة الأولى من مسلسل الاحتجاجات والمواجهات التي وقعت في العام نفسه، والتي أعطت الانطلاقة الأولى للتعبئة ضد التلوث بتايوان، وهدفت إلى الحد من التوسع الصناعي غير المنظم والذي تروج له الدولة التنموية.

لم يستطع احتجاج جيون أو مطالب المزارعين التايوانيين ، ولا أي من الحوادث المعزولة، أن يقودنا إلى صياغة القضية التالية: كان لمجموعة من الأسباب المماثلة –الإرث الاستعماري، والنظام الاستبدادي والتصنيع السريع- دور أساسي في التدهور البيئي وصعوبة ظروف العمل التي عرفها البلدان. مع ذلك،

>>

تشييع لعاملان قاما بالانتحاركجزء من مظاهرة العمال الوطنية.٣اتشرين الثاني ٢٠٠٣

تطورت من خلالها الحركات الاحتجاجية واستمدت اتجاهات مختلفة. على الرغم من أن حركة العمال الكوريين وحركة حماية البيئية في تايوان قد تمت بلورت أشكالهما في نفس الوقت، إلا إن الأمر قد استغرق عشرات السنين قبل أن يؤدي التدهور البيئي بكوريا ومعاناة العمال في تايوان إلى حشد اهتمام الساكنة. انطلاقا من التشابه البنيوي بين كوريا وتايوان، كيف أمكن لمسلسل الحركات العمالية والمدافعين عن البيئة ألا يسير في نفس المنحي في كلا البلدين؟

يمكن أن نجد الجواب في ما تم تحقيقه وما لم يتم تحقيقه من طرف هادين النوعين من القوة الحركية – والذي حدد لكل حركة قدرتها على التأثير في العالم –في سياق دولة تنموية واقتصاديات مهيمن عليها من طرف الشركات. يستند تأثير النقابات على الدور الأساسي للعاملين في نظام الإنتاج وتقديم الخدمات. من خلال عدم توفير قوتهم العمالية، منع العمال القوة الرأسمالية من تحقيق الأرباح. في المقابل، ورغم افتقاد حركة حماية البيئة للدرع التنظيمي، إلا أنها استطاعت الاعتماد على قدرتها في حشد الرأي العام نحو إيديولوجيا جديدة، تستند على مطالب العمال بتحقيق الخير العام والعالمي.

على الرغم من أن كوريا وتايوان قد كانتا إلى حدود ثمانينيات القرن الماضي نظامين استبداديين، إلا أن كل بلد نهج إستراتيجية مختلفة للتعامل مع الحركات الاجتماعية: نهجت الحكومية الكورية حملة قمع وحشية، في حين تبنت الحكومة التايوانية سياسة إدماج إستراتيجية. تمكنت هذه الاستراتيجيات المختلفة من احتواء الحركة البيئية في كوريا والحركة العمالية في تايوان، لكن الحركة العمالية في كوريا وجدت وسيلة لمواجهة القمع كما أن المزارعين التايوانيين قد قاوموا مختلف محاولات الحشد.

عندما قمع العمال الكوريون، في تجاهل تام لمطالبهم، وجدت النقابات ثغرات تسمح لهم بتعزيز البنيات التحتية التنظيمية وإقامة تضامن قوي بين العمال. لم يمنعهم القمع في الاستمرار في ممارسة نفوذهم. بالمثل، حينما أظهرت الحكومة التايوانية عدم قدرتها على حل المشاكل المتعلقة بالتلوث غير المنظم، وجه ضحايا التلوث والمدافعون عن البيئة مطالبهم إلى الهيئات الإدارية العليا، في سعي نحو تعزيز الفعل الدعائي والدفاع عن قضيتهم أمام الجميع، بما في ذلك وسائل الإعلام، وساعدهم هذا الأمر على نشر أفكارهم حول البيئة على نطاق واسع والبناء التدريجي لقوتهم الإيديولوجية. ومن المفارقات، أنه على الرغم من كون السياق السياسي قد منع الحركات الاجتماعية، خاصة في المرحلة الأولى، من تحقق نتائج ايجابية، إلا أنه عزز العديد من الاستراتيجيات المتنوعة. هكذا، فإن حركة العمال الكوريين قد عززت قوتها التدخلية، في حين طورت الحركة البيئية التايوانية قدرتها على التأثير الإيديولوجي، وبالتالي، الظهور السريع لحركات مختلفة.

بمجرد أن عززت هاتين الحركتين من أنفسهن كقوة معارضة ومهيمنة، وضعت نصب عينيها تعزيز الهياكل الوطنية التي توفر السلطة لهذه الحركات. تركت الحركة العمالية بكوريا إرث –من حيث الشكل-لا هوادة فيه من النضال والتنظيم الذاتي، بينما في تايوان، استمر المدافعون عن البيئة في إعطاء الأولوية لاستراتيجيات قائمة على النفعية، والمفاوضات السياسية والحلول الوسطية. استعارت الحركات التي ظهرت في وقت لاحق –حركة لحماية البيئة على غرار الحركة العمالية في كوريا، وحركة عمالية على غرار حركة حماية البيئة في تايوان- وانتهجت ردود فعل تابعة «للقوالب الأصلية» في تطوير استراتيجياتها التنظيمية والثقافية.

تبرز لنا هذه المقارنة مسارين مختلفين للحركات الاجتماعية في إطار جهودها الرامية نحو تعزيز قوتها وزيادة تأثيرها. في كلى البلدين، عززت الحركات العمالية نفوذها عن طرق تعبئة عمال الصناعات الإستراتيجية، مثل صناعة السيارات، والبيتروكيماويات، والخدمات البريدية وصناعة السفن. في كلى البلدين، عززت حركات حماية البيئة قوتها الإيديولوجية من خلال إتقانها لفن تنظيم العلاقات العامة وضمان صوت لها ضمن عناوين الجرائد.

لكن تعزيز سلطة الحركات الاجتماعية كان له ثمن، حيث اتهمتها الحركة النقابية بتمثيل «الأرستقراطية العمالية» (labor aristocracy)، الأمر الذي كلفها الدعم الشعبي. إضافة إلى تراجع قاعدة الدعم، خصوصا بعد نقل المصانع بالعاصمة، وحذف ضمانات الوظائف الطويلة الأمد وتشجيع التوظيف، حسب الحاجة، للعمال المهاجرين «غير النقابيين».

في الوقت نفسه، عندما دخلت قضية حماية البيئة إلى النقاش العام، ظهر منافسون جدد في كلا البلدين. دخلت الوكالات الحكومية لحماية البيئة،

أزمة العمال الوطنية في كوريا الجنوبية.١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٣.تصوير هوا جين ليو

وشركات الاستشارات البيئية، ومؤسسات الفكر والرأي الخاص، على خط النقاش حول البيئة لمعارضة احتكار الحركات الاجتماعية لمثل هذه القضايا. تراجعت نضالات حركات حماية البيئة، في تايوان كما في كوريا، ضد سلطة الشركات، خاصة وأنهم لم يدمجوا ضمن تصورهم الإيكولوجي مشكل إحياء اقتصاد الفقراء.

في فترة الأزمات، سعت الحركات العمالية وحركات حماية البيئة للحصول على مصدر أخر لقوتها بغية تعويض قوتها الأصلية. وهكذا، سعت الحركات العمالية نحو تقديم مطالبها كرهانات تهم الرأي العام، في حين حاولت حركات حماية البيئة البحث عن وسائل ضغط أكبر لمواجهة تفوق الشركات.

من المثير للاهتمام أن نجد أن فترات الأزمات قد طورت إمكانية تحالف حقيقي بين الحركات العمالية وحركات حماية البيئة، حيث سعت كل حركة نحو فهم وقياس تحديات وتجارب الحركة الأخرى. في كلى البلدين، أثبتت الحركات العمالية قدرتها على تنظيم صفوفها موازاتا مع ضعفها على المستوى التواصلي، في حين أثبتت حركة الدفاع عن البيئة قدرة أكبر على التواصل لكن ضعف كبير على مستوى تنظيم الصفوف. تمتلك كل حركة مجموعة من المهارات المحددة والخاصة لكن المفقودة لدى الحركة الأخرى.

تسلط لنا هذه المقارنة الضوء على التكامل المتبادل للحركات العمالية وحركات حماية البيئة. انطلاقا من مفهوم «قوة الحركة» (movement power) كمبدأ توجيهي لإعادة تركيز النقاش حول ظهور، وتطور ومسارات الحركات الاجتماعية. تتيح لنا نماذج كوريا وتايوان فرصة للتعرف على أسس التحالف بين الحركة العمالية وحركة حماية البيئة. ينبغي لهذه المقارنة أن تشجع الباحثين والنشطاء على إعادة النظر في ماضي ومستقبل الحركات العمالية وحركات حماية البيئة -كقوتين لهما تأثير كبير في الحياة الاجتماعية خلال الفترة المعاصرة، وأيضا على رؤيتنا المستقبلية.[١]

توجه كل المراسلات إلى هوا جين ليو على العنوان
<hjliu@ntu.edu.tw>

[١] تجدون تحليل وافي ضمن:
Leverage of the Weak: Labor and Environmental Movements in Taiwan and South Korea, 2015, University of Minnesota Press.

وضع الوالدين الضاغط

بقلم بيي شيا لان (Pei-Chia Lan)، الجامعة الوطنية بتايوان (تايوان)، عضو لجنة البحوث في (ISA) حول الأسرة (RC٠٦) والحركات العمالية (RC٤٤).

الجسم التايواني الذي تزداد فيه النصيحة الأبوية يفترض أن الأسرة النواتية التي تعود للطبقة الوسطى هي القاعدة المثالية.هنا صورة لغلاف كتيب ١٢٣عن العائلة السعيدة الذي نشرته حكومة مدينة تايبيه.

تعتبر تايوان واحدة من الدول التي تسجل أدنى معدل للخصوبة في العالم. يلجأ الآباء التايوانيون، المسئولون عن تربية أبنائهم بشكل مدلل وحساس، إلى استشارة الخبراء بشكل مستمر- وأحيانا يلجئون إلى الخبرة الغربية- لتلبية الاحتياجات الوجدانية لأبنائهم بشكل أفضل. كيف يعيش الآباء اليوم تحت وطأة الضغوط المتزايدة، بشكل أكثر حرصا، على الرغم من أنهم لا يحصلون أبدا على الموارد الثقافية والخدمات التجارية؟ لمحاولة حل هذا اللغز، تستند أبحاثي على محاولة الملاحظة العينية، وتحليل الخطابات والمقابلات المعمقة مع الآباء وأولياء أمور أكثر من خمسين أسرة من مختلف الفئات السوسيو-اقتصادية.

لطالما كان الرابط بين كيفية تربية الأبناء واللامساواة الاجتماعية موضوع أساسي ضمن علم الاجتماع، لكن التحليلات تعاني عموما من ما تسميه «أندريا ويمر» (Andréa Wimmer) و«نينا جليك شيلر» (Nina Glick Schiller) ب«القومية المنهجية» (methodological nationalism). يميل المتخصصين نحو تحليل التمايزات الطبقية في مجتمع معين كوحدة تحليل منغلقة، متجاهلين حقيقة أن المجتمعات قائمة على علاقات تبادل تنطوي في جوهرها على تأثير أحدها في الأخر.

تقدم تايوان حقل استراتيجي للبحث بالنسبة لعلم الاجتماع العالمي، وتصور لعلم الاجتماع حيث يعتبر الفضاء الجغرافي عنصر أساسي لتكوين المعرفة، وحيث مفاهيم ونظريات علم الاجتماع الأورو-مركزي تظل ذات بعد إقليمي. إنني أستخدم عنصر « تربية الأبناء» كمثال إمبريقي لكيفية تأثير العولمة على المجالات الصغرى للحياة الأسرية واللامساواة الطبقية. تغيرت الخطابات العامة حول تربية الأطفال بشكل ملحوظ بتايوان خلال فترة ما بعد الحرب، في الوقت الذي تغير فيه وضع الطفولة: في السابق، كان ينظر إليهم كيد عاملة معروضة، عند الحاجة إلى عملة، وفقا لاحتياجات القومية العسكرية، وبدأ ينظر إلى الأطفال كجسم سليم يخضع لحكم بيو-سياسي. تغير دور الآباء أيضا، وانتقلوا تدريجيا من أولياء للأمور، يكمن دورهم في الحرص على انضباط الأطفال، إلى مستفيدين بدورهم من النصائح المقدمة للآباء.

يعتقد العديد من المحللين أن التصنيع، والتحضر وانخفاض معدلات الخصوبة هي المصدر الأساسي للمفاهيم الجديدة، المرتبطة بالطفولة والأبوة، التي ينظر إليها على أنها «حديثة» (modern) –وهي مقاربة تعتبر أن تجربة الحداثة الأوروبية هي الأنموذج العالمي، وتتجاهل اللامساواة في السلطة والخصوصيات الثقافية التي تنشر في جميع أنحاء العالم.

وفقا لتصورات أخرى مقبولة بشكل عام، فإنه يمكن اعتبار التقارب بين وضع الآباء ووضع الأطفال على المستوى العالمي أشبه ب «بالماكدونالياتية» (McDonaldization) التي أُنتجت في سياق تأثير الرأسمالية العالمية، أو نتيجة لجولة في عالم المعرفة العلمية المرتبطة بالتنمية والتعليم المبكر للأطفال. إن هادين التفسيرين معرضان لخطر خفض العولمة إلى متغير خارجي فقط، وتجاهل جهود المجتمعات الأهلية والأصلية لتملك، وتوطين أو تهجين هذه الظواهر العالمية.

يستخدم عالم الاجتماع الكوري الجنوبي «تشانغ كيونغ-تسوب» (Chang Kyung-Sup) مفهوم «الحداثة المضغوطة» (compressed modernity) لوصف واقع حضاري حيث التغيرات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية والثقافية تنتج بشكل سريع، وتتجاوز حدود الزمان والمكان. تتعايش في مثل هذه المجتمعات مكونات مختلفة تنتمي إلى حضارات مختلفة – عناصر تقليدية، حديثة وما بعد حديثة مع عناصر محلية، أجنبية أو عالمية- تتنافس وتأثر في بعضها البعض. أقترح مفهوم «الأبوة المضغوطة» (compressed parenthood) لوصف التطور المعقد وأحيانا المتناقض للممارسات الأبوية في سياق الحداثة المضغوطة –يمكن تطبيق هذا الأنموذج بتايوان كما في العديد من دول جنوب أسيا (الجنوب العالمي Sud global).

يشمل هذا المفهوم على ثلاثة أبعاد أساسية: أولا، يمكن اعتبار التنمية الاقتصادية والسياسية بتايوان –بما في ذلك التصنيع السريع والديمقراطية- مصدر حركية بين الأجيال ومجتمع مدني حيوي. يستنكر الآباء المنتمين إلى الطبقة الوسطى «طفولتهم الضائعة» في ظل الفقر والاستبداد الذي كان يعيشه هذا البلد في تلك الفترة. إنهم مصممون على كسر أساليب التربية التقليدية ومنح أبنائهم مزيدا من السعادة والاستقلالية. يصبح تغيير أنماط التربية، بحكم تأثرها بالثقافة الأمريكية، علامة على الهوية الاجتماعية، التي تسمح للعديد من الآباء بتعزيز قدراتهم على الارتقاء الاجتماعي والتزامهم نحو العالمية.

مع ذلك، يعتمد الآباء التايوانيين الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى على بعض المبادئ التوجيهية للمستقبل المعولم الذي يتصورونه لأبنائهم. يسعى العديد منهم إلى «زراعة التنافسية العالمية» (cultivate global competitiveness)، بطريقة إستراتيجية، من خلال إرسال أبنائهم إلى مدارس ابتدائية باللغة بالانجليزية، ومدارس نخبوية أو مخيمات صيفية في الولايات المتحدة الأمريكية، على أمل تنمية رأسمالهم الثقافي العالمي.

من ناحية أخرى، يولي العديد من الآباء أهمية مزايدة لاستراتيجيات معاكسة، من خلال إعطاء الأولوية «للنمو الطبيعي» (orchestrate natural growth) لأطفالهم في مواجهة ما يعتبرونه تدخلات ضارة من طرف الآباء والمؤسسات التعليمية. من بينهم من اختار العديد من طرق التدريس البديلة، وبيداغوجيات غربية وتخلوا عن الكتب المدرسية والامتحانات.

ننفتح الآن على البعد الثاني للأبوة المضغوطة. إذا كان صحيحا أن هذه السيناريوهات الثقافية لوظيفة الآباء تدل على تأثيرات عالمية جديدة، إلا أنها غالبا ما تقع في صراع مع الواقع التايواني. على سبيل المثال، غالبا ما يكون من المستحسن للآباء قضاء بعض الوقت في التواصل والتفاعل مع أطفالهم، لكن على المستوى الثقافي والمؤسساتي، معظم أماكن العمل في تايوان لا تشجع الحياة الأسرية. عندما يعمل كلا الوالدين، سيكون عليهم الاعتماد على الأنشطة اللاصفية أو الشبكات العائلية لتوفير رعاية لأطفالهم بعد المدرسة.

على الرغم من خطاب القطيع مع الأجيال السابقة، يضطر هؤلاء الآباء إلى الاعتماد على الأجداد الذين يعيشون معهم أو بالقرب منهم لرعاية أطفالهم.

بالإضافة إلى ذلك، عادة ما يجد الآباء أنفسهم أمام تناقض واضح بين القيم التي يدافعون عنها والسياق المؤسساتي العالمي. حتى لو كانوا يسعون نحو سعادة أطفالهم، فإنهم قلقون بشأن قدرة أبنائهم على التغلب على المنافسة الشرسة التي يواجهونها للاندماج في المؤسسات الثانوية والجامعية الأكثر حظوة. غالبا ما يكونون قلقين حول ما إذا كان أطفال الجيل الجديد، مع صراحة خطابهم وأرائهم السديدة، يتكيفون مع عالم العمل، مع العلم أن معظم الشركات في تايوان تتميز بالثقافة الجماعية والسلطة الهرمية.

في الأخير، تقدم الأبوة المضغوطة أشكال مخلفة لعمل الطبقة الاجتماعية: خبر الآباء العولمة والحداثة المضغوطة بشكل غير متساوي ضمن طبقتهم الاجتماعية. توفر العولمة مزيدا من الفرص والإمكانيات للأسر التي تملك رأسمال اقتصادي وثقافي كافي، وبالنسبة لأولئك الذين لا يملكون وسائل التغيير فمحكوم عليهم بالحرمان والتهميش.

خلال العقود الأخيرة، أثر تراجع الرساميل التايوانية، وتدفق اليد العاملة بشكل خاص، على الأمن الوظيفي لرجال ونساء الطبقة العاملة. تسعى الكثير من النساء غير المحليات نحو البحث عن زيجات أجنبية، بجنوب شرق أسيا والصين، وتشكيل نوع جديد من الأسر العالمية. بالإضافة إلى ذلك، تطورت سيناريوهات أبوية جديدة – لاسيما حظر العقاب البدني المنزلي وتراجع تدخل الأهل في الحياة المدرسية- تفترض ضمنيا أن الآباء لهم جدول زمني مرن وقدرة على التواصل مع أبنائهم. أصبح الآباء المنتمين إلى الطبقة العاملة، الأمهات المهاجرات، فضلا مجموعة من الآباء المحرومين اجتماعيا، يتعرضون إلى النقد الاجتماعي وينظر أليهم بوصفهم «أسر معرضة للخطر» (high-risk families).

يساعد الضغط الزمني والمجالي على تفسير لما أصبحت الأبوة اليوم بتايوان مشروع شاق، متطلب وحتى صعب. انطلاقا من وجهة نظر تحليلات علم الاجتماع العالمي، تميل المنشورات الغربية نحو الحد من تحولات خطابات الأبوة وفق مؤشر داخلي يفشل في تحليل بناء الأسرة من منظور تاريخي متصل بالثقافة. من الضروري لعلماء الاجتماع تحديد تأثير سياق العولمة على استراتيجيات الأبوة لمراكمة الرأسمال، واللامساواة التي تؤدي إلى ترسيخ الطفولة بين مختلف الطبقات الاجتماعية وبين مختلف الدول.

توجه كل المراسلات إلى بيي شيا لان على العنوان < pclan@ntu.edu.tw >

> صناعة الانهيار:

تايوان في القرن الواحد والعشرين

بقلم ثانغ هونغ لين (Thung-hong Lin)، اكاديمية سينيكا، تايوان،عضو لجنة البحث ب (ISA) حول التراتبية الاجتماعية (RC٢٨) وعلم اجتماع النكبات (RC٣٩).

عرفت تايوان على مدى الثلاثين سنة الأخيرة تغيرات هامة على المستوى الاقتصادي، والسياسية والاجتماعي. مع ذلك، فإن معظم الدراسات السوسيولوجية حول البلد تركز على قصة نجاح التنمية، من خلال إثارة الاهتمام نحو:

- «الدولة التنموية» القوية، والعقلانية المهيمن عليها من طرف التكنوقراطية الاستبدادية للكومينتاج (KMT)، التي نهجت تحديث صناعي من خلال سياسة انتقاء الناجحين؛
- الاقتصاد (المعولم) والمنفتح على أساس الإصلاح الفعال للأراضي، وبنية صناعية تهيمن عليها الشركات الصغرى والمتوسطة (SMEs)؛
- ارتفاع معدل الحركية التصاعدية، كنتيجة لارتفاع أعداد الشركات الصغرى، ووفرة العمل وتنمية الطبقة الوسطى.

من الناحية السلبية، يعرف المجتمع التايواني بأنه مجتمع بطريركي (patriarchal) حيث التمييز الصارخ بين الجنسين، تحت تأثير الكونفوشيوسية التقليدية ، في الأسر، في التعليم وسوق الشغل. وغالبا ما ينتهي هذا الوصف عندما نتحدث عن الانتقال الديمقراطي الذي تقوده الطبقة الوسطى المعتدلة (أنظر الجدول أدناه.).

لكن منذ سنة ٢٠٠٧، تم التشكيك في حكاية «المعجزة التايوانية» (Taiwanese miracle) في أعقاب الأزمة المالية الأسيوية والكساد العظيم. فبعد عودة نخب حزب الكومينتانغ الاستبدادي السابق إلى السلطة في عام ٢٠٠٨، عزز التقنوقراطيون من حدة الاضطرابات السياسية بالنسبة للديمقراطية والسياسة المستقلة للحكومة التي يقودها الحزب الديمقراطي التقدمي (DPP). واصلت حكومة الكومينتانغ خدمة أجنداتها السياسية التنموية ذات التوجه النيوليبرالي، عبر تشجيع تنمية المبادلات التجارية مع الصين. منذ مارس ٢٠١٤، عندما ارتفعت حدة القلق العام حول اتفاقية التبادل الحر مع الصين -من خلال أقوى حركة طلابية منذ تسعينيات

تغيير براديغم التنمية في تايوان

	براديغم «المعجزة»	براديغم «الانهيار»
الدولة	دولة استبدادية، ومستقلة وتنموية.	دولة مفترسة وفاسدة، دون تغافل تبرير أفعالها تحت ذريعة الديمقراطية.
الاقتصاد	اقتصاد موجه نحو التصدير تهيمن عليه الشركات الصغرى والمتوسطة المحلية.	تميل الشركات الصغرى والمتوسطة نحو الاختفاء، بروز رأسمال احتكاري منفتح نحو الصين واستغلال العمال المهاجرين.
التراتبية والحركية الاجتماعية	إنشاء الشركات الصغرى والمتوسطة، وتعزيز نمو الطبقة المتوسطة، قوة الحركية الاجتماعية وانخفاض البطالة.	التصنيع وارتفاع حدة اللامساواة الطبقية، إعادة الإنتاج الطبقي بدل الارتقاء الطبقي، ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب.
النوع، والأسرة والديموغرافيا	الأسرة الكونفوشيوسية البطريركية، التمييز بين الجنسين في التربية، وسوق الشغل، الزواج المبكر، انخفاض معدلات الطلاق ونجاح تنظيم النسل.	الحد من اللامساواة بين الجنسين، والتفكك الأسري: ارتفاع معدل الطلاق كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، وخصوبة منخفضة جدا والشيخوخة السكانية السريعة.
الديناميات والانقسامات السياسية	المعارضة القوية بين حزب الكومينتانغ والمجتمع المدني الأهلي، انشقاق كبير بين الانتماء الإثني والهوية الوطنية.	تطور القيم الديمقراطية، الوعي الطبقي والإحساس بالظلم الجيلي بين الشباب، حركة عباد الشمس ضد النفوذ الصيني.

القرن الماضي- تم الطعن في «براديغم المعجزة» ضمن المناقشات الشعبية. شكل تعزيز العلاقات بين الحكومة التايوانية والصين، وتحالف حزب الكومينتانغ مع الشركات الكبرى وإهمال الشركات الصغرى والمتوسطة المحلية، فضلا عن إهمال تشغيل الشباب، أهم عناصر النقد اللاذع الموجه ل»براديغم المعجزة».

تنتقد الدراسات الحديثة الدولة «التنموية» التايوانية على أساس أنها ائتلاف سياسي محافظ وفاسد، يخدم رهانات حزب الكومينتانغ الاستبدادي، ورافض للمشاريع الصغيرة والمتوسطة وللدينامية والمشاركة السياسية للتايوانيين. لفتت هذه الدراسات الانتباه إلى الانتقادات المماثلة للتنمية الاقتصادية السريعة بالصين و»المرونة الاستبدادية» (authoritarian resilience) للحزب الشيوعي الصيني. في سياق التباطؤ الاقتصادي الحالي، يبدو أن السلطات المركزية والمحلية الصينية قد أصبحت مفترسة أكثر منها تنموية. إذا استعرضنا التجربة التايوانية، يمكن أن نفسر على نحو أفضل العلاقة بين النمو الاقتصادي والدولة الاستبدادية القوية، بالقول أن الأول يعزز الثاني، وليس العكس، في حين أن برامج الحماية الاجتماعية والمواطنة في تايوان قد أصبحت موضع اهتمام سياسي بعد الانتقال الديمقراطي.

من منطلق أهمية الاستثمارات الكبيرة التي تقوم بها الشركات الكبرى في الصين منذ تسعينيات القرن الماضي، تحولت البنية الصناعية التايوانية بشكل جذري. انخفضت حصة الشركات الصغرى والمتوسطة من ٧٦٪ إلى ١٨٪. اليوم، ٨٢٪ من الصادرات التايوانية مرتبطة بالشركات الكبرى. تم استبدال هيمنة الشركات الصغرى والمتوسطة بالرأسمالية الاحتكارية المتعددة الجنسيات. على سبيل المثال، إجمالي مبيعات أكبر شركة في البلاد –مجموعة هون هاي «Foxconn» (Hon-Hai)- تعادل ٢١٪ من الناتج المحلي والإجمالي لتايوان خلال سنة ٢٠١٣، إضافة إلى كون المنازعات الاجتماعية لدى (Foxconn) تجعلنا نفكر في كون تركيز الرأسمال التايواني قد مكنها من الاستفادة من استغلال العمال المهاجرين داخل الصين ومصادرة الأراضي المطروحة بموجب الحكم الاستبدادي للحزب الشيوعي الصيني.

أثر تغير البنية الصناعية التايوانية على الطبقات الاجتماعية أيضا. في سنوات التسعينيات، ضمت الطبقة الوسطى الحضرية عمال الشركات الصغرى، والمتوسطة والعمال المؤهلين وكانت قوة الحركية الاجتماعية نتيجة لذلك. لكن مع التباطؤ الاقتصادي، ارتفعت حدة اللامساواة في الثروة والدخل، إضافة إلى انخفاض فرص الارتقاء الطبقي. كما هو الحال في مجموعة من المجتمعات ما بعد الصناعية، قُوض الأمن الوظيفي وأصبح العمل غير ثابت وارتفع عدد العمال الفقراء.

يمكن أن نسجل خبر سار واحد ووحيد، مرتبط بالتخفيف من حدة اللامساواة بين الجنسين. تم تخفيض الفروق بين الرجال/النساء في التعليم والدخل، بشكل أعلى من ما هي عليه في دول جنوب شرق أسيا المجاورة. مع ذلك، لا يبدو أن التمييز في الأسرة وسوق الشغل قد تغير كثيرا. وفقا لمجموعة من البحوث، فإن الزواج يجعل من النساء أقل سعادة. في الواقع، تميل الموظفات التايوانيات نحو تجنب الزواج والحمل للحفاظ على وظائفهن، واستقلاليتهن الذاتية وأجرتهن الخاصة، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض معدلات الزواج وارتفاع معدلات الطلاق، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، وتدني معدلات الخصوبة إلى أدنى المستويات العالمية.

أعادت هذه التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، تشكيل المشهد السياسي التايواني. تركزت بحوث العلوم السياسية حول الصراع بين حزب الكومينتانغ الاستبدادي والمجتمع المدني الأهلي، لكن منذ الانتقال الديمقراطي خلال تسعينيات القرن الماضي، أدت التفاوتات الاجتماعية واللاعدالة الجيلية إلى بروز انقسامات سياسية جديدة. وفقا لبعض الدراسات الانتخابية، فإن دعم الحزب الديمقراطي التقدمي (DPP) قد جاء أساسا من العمال والفلاحين (غالبيتهم من الرجال) وجيل شاب من التايوانيين التواقين إلى القيم التقدمية.

منذ سنة ٢٠٠٨، سعت حكومة الكومينتانغ نحو تحفيز الاقتصاد من خلال التعاون مع الحزب الشيوعي الصيني وتشجيع التعاون بين الشركات التايوانية والصينية الكبرى. إن ما يسميه « الجيه مين وو» (Jieh-min Wu) «ائتلاف الرأسمالية الاستبدادية بين الحكومة وعالم الأعمال» يُشتبه في كونه تكامل سياسي واقتصادي بين تايوان والصين من خلال برنامج التبادل الحر. شجعت الحكومة هذا البرنامج عن طريق نشر إيديولوجيا (يقودها حنين ضمني لحزب الكومينتانغ الاستبدادي) نيوليبرالية موجهة نحو الفئات المسحوقة – وهو البرنامج الذي يحوي توتر مرتبط بالانقسامات الوطنية القديمة، والطبقات والأجيال.

يتناقض التحول في تايوان مع صورة الأنموذج التنموي. إن الشركات الصغرى والمتوسطة، التي لا طالما اعتبرت محرك النمو الاقتصادي للبلد، أصبح اليوم مهددة بالاختفاء. أصبح كبار رجال الأعمال والتكنوقراطيين من حزب الكومينتانغ، استنادا إلى فوائد قوة الدولة، من المدافعين عن التجارة الحرة والانفتاح على الصين. أصبح الشباب التايواني يعاني من انتشار معدلات البطالة، وانحدار طبقي، وانعدام الأمن الوظيفي، وركود الأجور وتزايد الضرائب والمساهمات الاجتماعية. ضمن مؤلف سوسيولوجي خلق ضجة بعد صدوره وأصبح واحد من الكتب الأكثر مبيعا، والذي ألهم ثورة عباد الشمس، ذُكر أن هذه التغيرات الاجتماعية هي نتاج صراع الأجيال المسئول بشكل جوهري عن التقسيم الطبقي الحالي.[١] بعيدا عن فكرة المعجزة الاقتصادية، يتحدث الباحثون الشباب عن أننا في حاجة إلى نقلة باراديغمية نوعية في علم الاجتماع التايواني، لمواجهة الانهيار الاجتماعي الذي يهدد مستقبلنا.

توجه كل المراسلات إلى بيي شيا لان على العنوان <zoo42@gate.sinica.edu.tw>

[٢] A Generation of Collapse: Crises of Capitalism, Youth (2011) .Thung-hong Lin et al .Poverty and the Lowest Fertility Rate in Taiwan. Taipei: Taiwan Labor Front

العمومية والخصوصية

في تطور علم الاجتماع التايواني

بقلم ماو كوي شانغ (Mau-kuei Chang)، تايوان، عضو لجنة البحث ب (ISA) حول العنصرية، والقومية والعلاقات الإثنية.

سيكون من المستحيل تقديم تقرير كامل عن وضع علم الاجتماع في تايوان. بدلا من ذلك، سأقدم بعض الأمثلة لتوضيح الكيفية التي بموجبها عمل علماء الاجتماع على «تأسيس علم الاجتماع» بتايوان. سننطلق من المؤتمر السنوي الأخير للجمعية التايوانية لعلم الاجتماع (TSA) الذي عقد في نوفمبر ٢٠١٤. منذ عشرين سنة، أضحى المؤتمر السنوي للجمعية موعداً رئيسيا لأعضائها، الذين يقدر عددهم ب ٥٠٠ عضو. نظمت نسخة ٢٠١٤ بالجامعة الوطنية تسينغ هوا (Tsing-hua)، أسفرت عن ٦٤ جلسة، وقدمت خلالها ١٨٠ ورقة عن موضوعات تتراوح بين الاقتصاد السياسي إلى الذاتية ما بعد الحداثية، فضلا عن منتديات حول المنطقة الشرق أسيوية والتحولات المختلفة في الصين. حضر المؤتمر أيضا ضيوف شرف يمثلون الجمعية اليابانية لعلم الاجتماع والجمعية الكورية لعلم الاجتماع، فضلا عن جامعيين صينيين يمثلون جامعة هونغ كونغ (Hong Kong).

شكلت الكلمة الافتتاحية لهذه النسخة أهم حدث ضمن برنامج هذه الدورة. تم تكسير التقليد، وطلب من الطالب الشباب، يانغ وي (Yang Wei)، أن يتحدث عن نشاطه وأن يقدم أفكاره حول الحركة التي احتلت البرلمان، والمعروفة أيضا بحركة عباد الشمس (أنظر مقال مينغ شو هو في نفس هذا العدد). يعكس هذا الخطاب غير العادي توجه عام وجديد لعلماء الاجتماع التايوانيين، الذين تحدى الكثير منهم البراديغمات التقليدية في قلب النقاشات المعمقة حول اللامساواة، والديمقراطية، والعدالة والمواطنة.

لكن، كما هو الحال في الكثير من الحالات السابقة، عبر أعضاء الجمعية التايوانية لعلم الاجتماع عن مواقف ووجهات نظر مختلفة حول القضايا الاجتماعية والسياسية ولم يتشاركوا نفس الأفكار والممارسات المرتبطة بعلم الاجتماع. ضمن أروقة المؤتمر، عبر بعض الأعضاء، بشكل صريح، عن وجهات نظر تعارض ما يفسر بكونه موافقة رسمية على حركة الاحتلال. وعبر البعض عن قلقهم إزاء مخاطر تسييس الجمعية عبر النشاط الاجتماعي، ما قد يهدد الوضع المهني للجمعية ويمس هويتها كجماعة علمية. بالتأكيد، تملك تايوان عادة قديمة في طرح مثل هذه النقاشات والتي يعود تاريخها إلى نشأة هذا التخصص بالبلد.

تقدم الجمعية التايوانية لعلم الاجتماع مجموعة من الأنشطة الهامة. على سبيل المثال، تصدر الجمعية مجلة علمية محكمة تحت عنوان «المجلة التايوانية لعلم الاجتماع» (Taiwanese Journal of Sociology) مرتين في السنة وتنشر ثلاث نشرات إخبارية في السنة فضلا عن مدونة شعبية تحمل اسم «علم اجتماع الشارع» (Streetcorner Sociology) (أنظر المقال اللاحق هونغ زين وانغ ضمن نفس العدد) والتي تمثل نقطة عبور نحو الدراسات الامريقية أو النقاشات حول المواضيع الراهنة.

معظم أعضاء الجمعية التايوانية لعلم الاجتماع هم في الأصل أعضاء جمعيات علمية أخرى، مثل الجمعية التايوانية للبحوث النسائية (Taiwanese Feminist Scholars Association)، وجمعية الدراسات الثقافية (the Cultural Studies Association)، والجمعية التايوانية للفعل الاجتماعي (the Social Welfare Association of Taiwan)، و الجمعية التايوانية للعلم، والتكنولوجيا والمجتمع (Taiwan's STS (Science, Technology and Society))..الخ. حفزت هذه العلاقات المتبادلة مع مجالات معرفة مجاورة وثيمات موضوعاتية متصلة بالمجال، جماعة علماء الاجتماع والمتخصصين في العلوم الاجتماعية على العمل معا.

في هذا المقال، أحاول التركيز على ثلاثة مؤلفات جماعية نشرت خلال العقد الماضي، لإظهار اهتمامات علماء الاجتماع التايوانيين اليوم: يمثل كل مؤلف تيار خاص١)- التيار التقليدي أو «المهيمن» (mainstream)، ٢)- التيار العابر للوطنية أو «العالمي» ("transnational" or global)، ٣)- تيار سوسيولوجيا العموم أو سوسيولوجيا المشاركة العامة (public). يتعلق الأمر بجرد محدود للغاية، لكن كل واحد من هذه الكتب الثلاثة لقي ترحيبا كبيرا، يمكن اعتباره ممثل ودال.

يمثل مؤلف (Social Change in Taïwan, ١٩٨٥-٢٠٠٠: Mass Communications and Political Behavior, edited by M. Chang, V. Lo and H. Shyu, ٢٠١٣) [التغير الاجتماعي في تايوان، ١٩٨٥-٢٠٠٥: التواصل الجماهيري والسلوك السياسي] ما يمكن أن نعته بالتيار المهيمن في علم الاجتماع التايواني، انطلاقا من مقالات تحلل تطور المشاركة السياسية والتواصل الجماهيري في تايوان خلال الفترة الديمقراطية. تستند هذه الدراسات على معطيات وطنية تم تجمعها منذ سنة ١٩٨٩ في إطار مشروع مسح التغير الاجتماعي بتايوان (Taiwan Social Change Survey) [TSCS]. تقدم المسوحات المدرجة في هذا الإطار «لمحات» (snap shots) يمكن استخدامها لتحديد الاتجاهات الكبرى للمواطنة، والهوية الوطنية، والدين، والنوع، والأسرة، والشغل، والعولمة وغيرها من المفاهيم المفتاح ضمن علم الاجتماع التقليدي. منذ سنة ٢٠٠٢، شمل هذا المشروع أيضا عناصر من المشروع الدولي للمسح الاجتماعي (International Social Survey Program) [ISSP] ومشروع المسح الاجتماعي لشرق أسيا (East Asian Social Survey) [EASS]. إن كل هذه البيانات، المفتوحة أمام الباحثين من جميع أنحاء العالم، مفيدة للدراسات المقارنة.

يفسر مؤلف (To Cross or Not to Cross: Transnational Taiwan, Taiwan's Transnationality, edited by H. Wang and P. Guo, ٢٠٠٩) [مخترق أم غير قابل للاختراق: تايوان العابرة للوطنية، عبور الحدود الوطنية لتايوان] العناصر «العابرة للوطنية» لعلم الاجتماع التايواني. في هذا المؤلف: يشير علماء اجتماع، وأنثروبولوجيين ومؤرخين إلى أن السياق الحالي لقوة الحركية والعولمة السريعة ضروري لتجاوز إطار «الدولة-القومية» (nation-state). يمثل هذا المؤلف أعمال وبحوث جديدة حول تدفق الأشخاص، والتدفق الثقافي وتدفق الرساميل التي

>>

تخترق الحدود الاجتماعية والجغرافية انطلاقا من تايوان. تدحض هذه المقالات المسلمات النطاقية والإقليمية القائمة في المجتمع. من بين الموضوعات التي شملها المؤلف، نجد دراسات حول ظاهرة العاملات المنزليات الناشئة في جنوب شرق أسيا، والتوسع العالمي للجمعيات البوذية في تايوان، وقضايا الهوية والنوع بين الأزواج المهاجرين و حول رجال ونساء الأعمال التايوانيين الموزعين بين الصين وتايوان.

يُمثل تيار علم الاجتماع المشاركة العامة بمؤلف صدر خلال مطلع هذه السنة (Streetcorner Sociology, sous la direction de H. Wang, ٢٠١٥) [علم اجتماع الشارع]. يضم الكتاب ٣٤ مقال محرر من طرف ٣٧ باحث، طلب منهم أن يقدموا مقالات قصيرة أو تعليقات بسيطة اللغة، لعرض خلاصتهم ونتائجهم لقراء غير متخصصين. تم تنظيم هذه المحاولات ضمن خمس محاور: الحياة السياسية، والحياة الصعبة، وقضايا النوع، والعيش على هامش المجتمع والمسار الأخر المحتمل. معظم هذه المقالات تم نشرها على مدونة «علم اجتماع الشارع» (Streetcorner Sociology) (أنظر المقال اللاحق لهونغ زين وانغ ضمن نفس العدد). تم إنشاء صفحة على الفايسبوك في فبراير ٢٠١٤، واستطاعت أن تجذب أكثر من ٣٠٠٠ زائر يوميا. في سنة ٢٠١٤، اجتذب كل مقال ما يقارب ٦٧٠٠ زائر في المتوسط، وهو رقيم يتجاوز بكثير المدونات الأخرى خلال الفترة عينها. على الرغم من كون جميع المقالات متاحة للعموم، إلا أن مبيعات الكتاب الورقي قد كسرت كل الأرقام القياسية ضمن منشورات العلوم الاجتماعية في تايوان.

في الماضي، انتقد البعض افتقار علم الاجتماع التايواني للطابع الخاص واعتماده الكبير على السوسيولوجيا الغربية. من حوالي عشرين سنة، كان هذا الانتقاد مبرر في رأيي. مع ذلك، وجد علماء اجتماع الجيل اللاحق أنفسهم في مواجهة مجموعة من التحديات، بما في ذلك مسايرة ضغط الدولة الاستبدادية، وعدم ثقة المحافظين في الحقل الثقافي، والنقاشات حول «توطين» العلوم الاجتماعية في مواجهة التأثير الغربي، والكفاح من أجل تقديم براديغمات بين الصين وتايوان. اليوم، أصبح علم الاجتماع جزء لا يتجزأ من المجتمع، وحقق تقدم ملحوظ فيما يتعلق بالمعرفة للعموم ومن أجل العموم. أصبحت بعض المفاهيم الرئيسية مثل إعادة الإنتاج الطبقي، والدولة، والهيمنة، والسلطة، والحركات الاجتماعية، والنوع، والمجتمع المدني والمواطنة والعولمة، جزء لا يتجزأ من برنامج التعليم الثانوي ومفردات رئيسية بالنسبة للخطاب الإعلامي.

رغم هذا النجاح الواضح، إلا أن مجموعة من التحديات تلوح في الأفق. هناك أولا، ارتفاع نسب الشيخوخة السكانية وانخفاض معدلات الشباب في سن ولوج الجامعة، وأيضا القوة الأصولية للسوق والمنافسة الدولية. يتم الضغط على علماء الاجتماع ومعاهد علم الاجتماع من قبل إداراتهم لتوحيد تقييم البحوث، ما يسمح بتقديم مبررات لحجب الدعم والإمكانات الأساسية في كثير من تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي تعتبر ذات الاستخدام المحدود. وعلاوة على ذلك، تتزايد حدة هذه التحديات في فترة تعرف ارتفاع نسب اللامساواة، لكن علم الاجتماع التايواني ليس الوحيد الذي يواجه هذه التحديات، حيث نجد هذه التحديات مشتركة في مع العديد من الدول. وبالتالي، جنبا إلى جنب بمقدور علماء الاجتماع أن يسيروا بالعالم نحو المستقبل.

توجه كل المراسلات إلى ماو كوي شانغ على العنوان < etpower@gmail.com >

> علم اجتماع الشارع

بقلم هونغ زان وانغ (Hong-Zen Wang)، تايوان، عضو لجنة البحث في (ISA) حول الهجرة (RC٣١)

تصوير أربو.

ليس من السهل اليوم نشر المعرفة المهنية بتايوان في إطار جامعي: لا تشجع الإدارات الأعمال التي يصفونها ب «غير المنتجة» (unproductive). يواجه علماء الاجتماع الساعين نحو الاستثمار في الحياة العامة خطر أن يوصفوا ب «اللاأكاديميين» (unacademic). البعض منهم له موقعه الخاص، لكن ونظرا لضيق الوقت، فهم يكافحون لإغنائه.

في سنة ٢٠٠٩، قاد مجموعة من الأنثروبولوجيين التايوانيين مدونة جماعية تحت اسم «guavanthropology»، يقدم أسبوعيا تعليق سريع يمكن استكماله في إطار البحث الانثروبولوجي. إذا كانت السنوات الأولى قد عرفت انخفاض عدد زوار الموقع، إلا أنه اليوم يشكل أنموذج بالنسبة للجماعة السوسيولوجية.

بفضل دعم علماء الاجتماع التايوانيين، رأت مدونة «Streetcorner Sociology» النور في ١٣ فبراير ٢٠١٣. في ظرف سنتين فقط، نشر الموقع أكثر من ١٣٠ مقال، بمشاركة أكثر من ١٠٠ عالم اجتماع تايواني. وبلغ عدد زوار الموقع أكثر من ٢,٢ مليون، ونشرت مجموعة من المقالات في مختلف وسائل الإعلام.

قبل أن يتم إنشاء «Streetcorner Sociology»، كانت تنشط بتايوان مجموعة من المدونات العلمية ذات نسب المتابعة العالية، مثل «PanSci» أو «Mapstalk»، الذين استطاعوا حصد ملايين الزيارات خلال سنوات قليلة. أصبحت الناس تستعمل الانترنيت للبحث عن معلومات محدثة. لهذا السبب، انتبه علماء الاجتماع إلى أنه إن هم أرادوا التأثير على الرأي العام والسياسات الاجتماعية، يجب عليهم المشاركة في النقاشات على الانترنيت. وعلاوة على ذلك، لم تعد الناس تفضل قراءة المقالات الطويلة. وفقا للمحرر، يجب أن يكون الحجم الأمثل للمقال المنشور على شبكة الانترنيت، في صيغة نص، قابل للقراءة بين ٣ إلى ٥ دقائق. منذ البداية، تم حث المتعاونين في «Streetcorner Sociology» على كتابة مقالات لا تتجاوز ٥٠٠٠ كلمة صينية –حوالي ١٥٠٠ كلمة باللغة الانجليزية- وهي بذلك بعيدة عن حجم عمود رأي في صحيفة، لكنها كافية للمشاركة في النقاش العام بمقال منشور على المدونة.

من أهم مفاتيح نجاح تجربة «Streetcorner Sociology» هو الدعم الذي حظي به من طرف جماعة علماء الاجتماع التايوانيين. تضم الجمعية اليابانية لعلم الاجتماع أكثر من ٣٠٠٠ عضو، والجمعية الكورية لعلم الاجتماع أكثر من ١٠٠٠ عضو، في حين أن الجمعية التايوانية لعلم الاجتماع لا تضم سوى ٣٠٠ عالم اجتماع نشيط. تنتج اللجان الفرعية التابعة للجمعية الكورية لعلم الاجتماع مجموعة من الكتيبات حول مواضيع متنوعة –على سبيل المثال حول الهجرة أو النظرية الاجتماعية- من أجل نشر المعرفة في علم الاجتماع. وبالمثل، في اليابان، نشرت سلسلة من الكتيبات حول الموضوعات السوسيولوجية الكبرى. من الواضح أن مثل هذه المبادرات تتجاوز قدرات الجماعة الصغيرة من علماء الإجماع التايوانيين. لهذا السبب، تعتبر التعليقات القصيرة، المنجزة بشكل جماعي من طرف علماء اجتماع ينتمون إلى مجالات مختلفة، وسيلة فعالة لنشر المساهمات المدرجة في مجال علم الاجتماع. في ظل وجود جماعة صغيرة، حيث جل علماء الاجتماع معروفون بين بعضهم البعض، كان العديد منهم على استعداد لكتابة مقال كل سنتين.

في السنوات الأخيرة، ساهم تنامي اهتمام العموم المتزايد بالقضايا الاجتماعية والسياسية في زيادة شعبية الموقع. شكل عدم الرضا على المشاكل المرتبطة بعولمة

>>

الاقتصاد، والتوسع الصيني وحكومة المحافظين الحالية، سند أساسي لاتساع نطاق وحدة الاحتجاجات الطلابية في مارس ٢٠١٤. خلال ٥٠ يوم التي استمر فيها الاحتلال، نشرت مدونة «Streetcorner Sociology» أكثر من ١٧ مقال مساند للحركة، وحصدت المدونة أكثر من ١٠٠٠٠ زائر يومي، في مقابل ١٧٠٠ خلال الشهر السابق. أصبحت المدونة -بالنسبة لمؤيدي الحركة- محفلا هاما لمناقشة القضايا العامة. بل إن الكثير من المسئولين السياسيين قد انخرطوا في النقاش عبر المدونة للدفاع عن سياستهم.

أصبحت مدونة «Streetcorner Sociology» معرضا للمهتمين بعلم الاجتماع التايواني، أو التطورات الاجتماعية والسياسية بالمنطقة. اكتسبت «Streetcorner Sociology» سمعة ايجابية، ما دفع الطلبة إلى زيارة الموقع لتكوين فهم أشمل عن هذا التخصص، في ظل سيادة خلط كبير بين علم الاجتماع والعمل الاجتماعي. بالإضافة إلى ذلك، أصبحت وسائل الإعلام التايوانية تحيل إلى المقالات المنشورة بالموقع، الشيء الذي عزز من الحضور القوي لوجهات نظر علماء الاجتماع على الساحة. تم إعادة نشر مجموعة من المقالات في مدونات صينية أو تابعة لهونغ كونغ. ليس مستغربا أن نجد المقالات التي تتناول مواضيع سياسية أقل حساسية، مثل علم اجتماع الفنون، السياحة أو التنمية المحلة، هي التي يتم إعادة نشرها من قبل المدونات الصينية، في حين أن مواقع هونغ كونغ هي الأكثر اهتماما بالقضايا السياسية، مثل الدولة والطفولة، ذات الشأن بهونغ كونغ، تايوان والصين.

أقل من عشر أشخاص، هم من يقرئون المقالات العلمية فقط-في أحس الأحوال- وحوالي ثلث مقالات العلوم الاجتماعية لا يتم الاستشهاد بها. إنه لأمر محبط للغاية أن نجد البحوث التي ننفق عليها الكثير من الوقت لا تجذب القراء -ولا حتى من الزملاء الاكاديميين. وعلى العكس من ذلك، يدل التحرير التعاوني ل «Streetcorner Sociology» على أن العمل الجماعي يمكن أن يكون له تأثير اجتماعي قوي، ويدل أيضا على أن علماء الاجتماع يمكن أن يشاركوا في بنشاط في الحياة العامة من دون التضحية ببحوثهم.

توجه كل المراسلات إلى هونغ زان وانغ على العنوان < hongren63@gmail.com>

> يورغن هاتمان ١٩٤٤-٢٠١٥:

أممي مخلص

ليودميلا نورس (Lyudmila Nurse)، مديرة وشريكة مؤسسة لمجموعة أوكسفرد للتفكير خلال القرن الحادي والعشرين (المملكة المتحدة)،وعضو سابق بلجنة إدارة لجنة البحث ب (ISA) حول الشباب (RC٣٤) وسيلفيا ترونكا (Sylvia Trnka)، عضو سابق في لجنة إدارة (RC٣٤) (المجر).[1]

جوغان هارتما،رئيس لجنة البحث حول سوسيولوجيا الشباب (١٩٨٦-١٩٩٠) لمنظمة علم الاجتماع الدولية،و نائب رئيسالموارد المالية في المنظمة (١٩٩٤-١٩٩٨) الذي توفى في الثاني من آذار، ٢٠١٥

كان دائما مبتسم، ودود، منفتح، خيّر، مرحب، ايجابي، متعاون، مفيد، ودود، مبتهج، باحث نشط على الصعيد الدولي، منظم مذهل، شخص مرجعي -هذه هي الذكريات التي حافظ عليها أصدقاء وزملاء «يورغن هارتمان» (Jürgen Hartmann)، الذي توفي في ٢ مارس الماضي.

ولد يورغن في ١٨ مارس ١٩٤٤ بريمشايد-ينيب-ألمانيا. توفي والده أثناء الحرب، وتكفلت والدته بتربيته. في طفولته كان يمضي أغلب أوقات ما بعد الظهيرة بمكتبة الحي وكون صداقة قوية مع صاحب المكتبة، الذي كان يتركه يطالع الكتب إلى وقت متأخر بالمكتبة. يعترف يورغن بأنه كان يقرأ كل يأتي في متناول يده: اكتشف دول وثقافات أخرى، اهتم بالخرائط الجغرافية، وحتى بمواعيد القطارات. انطلاقا من هذه القراءات ستتولد طموحاته العلمية ورغبته في السفر حول العالم. خلال هذه الفترة كان يتعلم القراءة بسرعة كبيرة ويتحرك أينما كان، كما لو انه بوصلة إنسانية. وبما أن أمه كانت تعلم خارج المنزل، فقد وجد نفسه يتعلم الطبخ في سن مبكرة - وهي الموهبة التي أتقنها طوال حياته.

حصل يورغن على درجة الماجيستير في الاقتصاد <<

من جامعة كولونيا سنة ١٩٦٩. خلال سنوات دراسته، كان يعمل خلال فصل الصيف بمدينة ستوكهولم، قبل أن يحصل على منحة دراسية من جامعة أوبسالا، حيث التقى زوجته السويدية «سولفينج» (Solveig). في سنة ١٩٧٣، قدم رسالة دكتوراه حول الثورات الطلابية في السويد، لينضم بعد ذلك إلى قسم علم الاجتماع بالجامعة. ظل هناك إلى حدود سنة ١٩٩٣ وقدم مجموعة من المحاضرات في جميع أنحاء السويد. من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٢، أصبح مدير البحوث بالمركز الأوروبي للرعاية الاجتماعية والتكوين والبحث بفيينا، التابع لمنظمة الأمم المتحدة. ومن سنة ١٩٨٣ إلى سنة ١٩٨٦، قاد مشروع «إدماج الشباب في المجتمع»، والذي سيعطي الانطلاقة لمسيرته الدولية.

يعود أول اتصال له بالجمعية الدولية لعلم الاجتماع إلى يوليو ١٩٧٨، بمناسبة المؤتمر العالمي التاسع لعلم الاجتماع التابع للجمعية والذي نظم بأوبسالا. تتذكر السكرتيرة التنفيذية الحالية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع «ايزابيلا بارلينسكا» (Izabela Barlinska)، تلك الطالبة الشابة التي كانت عضو اللجنة التنظيمية للمؤتمر، لقائها الأول مع يورغن في المكتب الإعلامي للمؤتمر. ظن يورغن، ذلك المدرس الشاب بجامعة أوبسالا، أنه من المفيد له أن يكون ممثلا للمجتمع العلمي المحلي. كانت مساعيه مفيدة للغاية. كلاهما لم يكن يملك الخبرة ومستجدين ب (ISA)، لكنهم كانوا يتشاركون نفس الرغبة في أن يكونوا مفيدين. ومنذ ذلك الوقت، ظلوا دائما أصدقاء.

بالنسبة ليورغن، من المهم جدا العمل في بيئة دولية مع زملاء من مختلف أنحاء العالم. أصبح عضو لجنة البحث ب (ISA) حول علم اجتماع الشباب (RC٣٤)، وأمين للصندوق بين ١٩٨٢ و١٩٨٦ وبعد ذلك رئيسا للجمعية الدولية للسوسيولوجيا سنة ١٩٨٦. أشار سلفه، بيتر-اميل متيف (Petar-Emil Mitev) إلى انه «خلال فترة الحرب الباردة، كانت ليورغن مساهمة أساسية في تعزيز نموذج للتعاون بين الباحثين بأوربا الغربية والشرقية ضمن (RC٣٤). كان الباحثون الأوربيون المتخصصون في علم اجتماع الشباب دائما قادرين على الاعتماد على دعمه الكريم وتفانيه الصادق لتحقيق الأهداف العلمية المشتركة».

«بفضل موقعه كرئيس ل (RC٣٤) في لحظة تاريخية حاسمة، وضع يورغن نصب عينيه مهمة ملاحظة وتفسير التغيرات الكبرى التي أحدثتها الغلاسنوست (glasnost) والبيريسترويكا (perestroïka) في أوساط شباب الاتحاد السوفيتي». هذا المقتطف لجون بينر (John Bynner)، يتيح لنا فرصة ملامسة القدرة غير العادية ليورغن على التحليل والتبصر حينما عمل معه في مشروع «الشباب الأوروبي والتكنولوجيا الجديدة» [European Youth and New Technologies] (١٩٨٧-١٩٩٠)، وهو مشروع بحث مقارن أنجزه المركز الأوروبي لتنسيق الأبحاث والتوثيق في العلوم الاجتماعية في فيينا (European Coordination Centre for Research and Documentation in the Social Sciences). بدعم من (RC٣٤)، كان للمشروع قيمة خاصة، نظرا لتزامنه مع سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي. بالنسبة لبينر، «يعد يورغن أممي حقيقي يعرف كيف يتواصل، واكتسب خبرة واسعة جعلته يؤكد على ضرورة الابتعاد عن الرؤية القومية الضيقة من أجل فهم أشمل للاختلافات النسبية المتجلية في المعطيات الثقافية والأوليات الوطنية، لاسيما في أوروبا الشرقية –الخاضعة للحكم العسكري- حيث انتفاع المستهلكين من التكنولوجيات الحديثة لازالت محدود. حتى جيل الشباب، ازداد طلبه على الوسائل المعلوماتية وولوج الإعلام العابر للحدود الوطنية، كجيل جديد، يضع نفسه في طليعة التغيير. ربما من الصعب أن نتخيل اليوم كيف أن فكرة يورغن حول الحصول شهادة في المعلوميات، التي أصبحت لها قيمة تعادل امتلاك رخصة القيادة، قد كان ينظر إليها في تلك الفترة بأوروبا الشرقية على أنها يوتوبيا. في وقت مبكر، كان قادرا على قياس إسهام التكنولوجيات الحديثة في الانتقال نحو مرحلة المراهقة، وكدا نتائجها المرتبطة بالفردنة، والاستقطاب واللامساواة في عالم معولم على نحو متزايد. إذا كانت هذه الأسئلة توجد في قلب الأفعال والاختيارات السياسية المرتبطة بالشباب، فذلك في جزء كبير منه بفضل تأثير يورغن المستمر».

كان يورغن أممي حقيقي، نجح في التعاون مع الخبراء الصينيين في قضايا الشباب، تحت قيادة (RC٣٤). ليس من قبيل الصدفة أن نجد الولايتين اللتين تلتا فترة رئاسته، قد ضمت نواب صينين لرئيس (RC٣٤) حول منطقة أسيا. وقد لعب يورغن دورا رئيسيا على الصعيد الديبلوماسي حينما عقد لأول مرة مؤتمر (RC٣٤) بالصين، حول موضوع «العولمة والشباب بآسيا» (شنغهاي، ١٩٩٣).

كان يملك يورغن موهبة فريدة في إقامة وتنظيم الشبكات الاجتماعية والاكاديمية. اعتبرت «هيلينا هيلف» (Helena Helve)، منسقة البحوث حول الشباب بين سنة ١٩٩٨ و ٢٠٠٤، ورئيسة (RC٣٤) بين ٢٠٠٢ و ٢٠٠٦، أن يورغن رائد البحوث حول الشباب بدول شمال أوروبا. وكانت قد أعجبت كثيرا ب»الخطاب الهام الذي ألقاه يورغن حول الشباب خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي بأوربا، خلال مؤتمر بحوث الشمال حول الشباب. عمل يورغن بجد من أجل خلق جو للتعاون بين الباحثين من شمال أوروبا حول الشباب، وكان واحدا من مؤسسي (Nordic Youth Research Symposium] «مؤتمر بحوث أوروبا الشمالية حول الشباب»، ومنسق بين الباحثين من شمال أوروبا في المجال، حتى أصبح باحثا مشهورا على المستوى العالمي، وظل يعتبر نفسه باحث من شمال أوروبا حول الشباب. مكنه عمله من أخذ الصبغة الدولية ونشر أبحاث شمال أوروبا حول الشباب على نطاق دولي». كنا يورغن أيضا عضو (Circle] (CYRCE [for Youth Research Cooperation in Europe «شبكة التعاون في مجال بحوث الشباب بأوروبا»، التي تأسست سنة ١٩٩٠ من قبل خلفه «سيبيل هوبنر-فون» (Sibylle Hübner-Funk)، والتي ساهمت في تعزيز البحوث الأوروبية حول الشباب.

إن معرفته الواسعة، وتجربته كمدرس وقدرته على شرح الإشكاليات المعقدة بشكل واضح، جعلت منه أحد المحاضرين المطلوبين بشغف. كان هناك شيء خاص في طريقة محاضرته: حتى عندما يتحدث إلى جمهور كبير، يرى كل واحد وكأنه كان يحادثه بشكل فردي.

بعد فترة قصيرة من انتخابه كرئيس ل (RC٣٤)، انتخب يورغن أيضا عضو اللجنة التنفيذية ل (ISA): كان قبل ذلك جزء من لجنة المالية بين ١٩٩٠ و ١٩٩٤، قبل أن ينتخب نائب للرئيس مسئول عن المالية بين ١٩٩٤ و١٩٩٨. بهذه الصفة، ساعد في استقطاب علماء الاجتماع نحو المؤتمر العالمي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع ببيليفيلد (١٩٩٤)، ومونتيريال (١٩٩٨) وبريسبان (٢٠٠٢).

بالإضافة إلى أبحاثه حول الشباب، كان يورغن يروج بقوة لمبادئ التفاهم بين الشعوب استنادا إلى تجربته المعيشة: ثمن أساسا ضرورة السفر بالنسبة للشباب، سواء كان للتجارة أو السياحة. تحتفظ «ليودميلا نورس» (Lyudmila Nurse) بذكرى حية من أكتوبر ١٩٩٢ بموسكو، حينما نظمى مؤتمر دولي حول موضوع «الشباب والتغير الاجتماعي بأوروبا: تكامل أم استقطاب» [Youth and Social Changes in Europe: Integration or Polarization]. تلقى مدير معهد الشباب دعوة من وزير التربية العلوم والتكنولوجيات الروسي خلال تلك الفترة، والذي كان مسئولا عن وضع سياسة جديدة للشباب بروسيا. أراد

فريق عمله لقاء مجموعة من المحاضرين الغربيين الحاضرين. كانت سعادة يورغن تكمن في كون المؤتمر قد استطاع جذب انتباه الحكومة الروسية. كنا جد متحمسين لدعوتنا إلى الكرملين، حيث استقبل فريقنا الصغير من قبل «غينادي بوربوليس» (Gennady Burbulis)، وزير خارجية روسيا الفيدرالية، والذي قدم كثاني شخصية سياسية مؤثرة بعد الرئيس «بوريس يلتسين» (Boris Eltsine). ركز الاجتماع الذي جمعنا على سبل إشراك الأجيال الشابة الروسية في العملية الديمقراطية. كان يورغن أول من تدخل مشيرا إلى أمر بديهي: هل يملك الشباب الروس القدرة على السفر إلى الخارج واكتشاف العالم؟ بدا الأمر في أول وهلة شيء من السهل القيام به، حينما واصل يورغن شرح أنه على روسيا أن تغير نفسها إذا أرادت أن تكون جذابة بما يكفي لحثهم على العودة. كان النقاش مثمرا والرسالة المرتبطة بحركية الشباب قد أرسلت إلى المسئولين، وهو ما يبعث على الارتياح بالنسبة ليروغن.

لعب عمل يورغن حول حركية الشباب دورا رئيسيا في تنمية البحوث حول الشباب بهذه المنطقة من العالم. حلل يورغن بطريقة نسقية أسباب الهجرة وإنشاء منظور خاص للشباب المهاجر. حاول ضمن أعماله حول حركية وهجرة شباب أوروبا الغربية، أن يحدد الرابط بين السياسة والاتحاد الأوروبي ومفهوم «حركية الشباب» (youth mobility) من جهة، وظهور الوعي الأوروبي والتعاون الاقتصادي، والسياسي والثقافي المثمر من جهة أخرى، بحجة أن الانتقال الأوروبي نحو الأممية قد ساهم بشكل كبير في إعطاء الشباب السويدي شعور بأنهم «أوروبيين» مثل مختلف البرامج المؤسساتية المتبادلة، والرغبة في السفر لدى الشباب ترتبط ارتباطا وثيقا بقدرتهم على التحدث بلغات أجنبية.

عندما انخرطت جامعة دالارنا (السويد) في شراكة مع خمس جامعات أوروبية أخرى، لتعزيز وتطوير تكوين في التسيير والسياحة الأوروبية، لم يترك يورغن الفرصة تفوته لممارسة عشقه للسياحة وأصبح مدير المسلك السويدي للماجيستير (١٩٩٤-٢٠٠٨). كان يحب التدريس واستمر في إلقاء المحاضرات حتى بعد تقاعده.

بالنسبة للكثير منا، كان يورغن صديق حقيقي، ولجميع أعضاء RC٣٤، ومرافق مدهش في العمل، بروح الفريق لديه، ابتسامته وعناقه، ضحكه النابع من القلب، روحه الجدية، مشورته الحكيمة وتشجيعه الذي افتقدناه، إذا استفدنا من التراث الذي خلفه لنا، سيظل يورغن على قيد الحياة في أعمالنا وفي ذاكرتنا.

توجه كل المراسلات إلى ليودميلا نورس على العنوان
<lyudmilanurse@oxford-xxi.org>
وإلى سيلفيا ترونكا على العنوان < sylvia.trnka@aon.at >